جموع الكثرة في القرآن الكريم بين القياس والسماع
دراسة صرفيّة دلاليّةٌ

د. جلال الحمّاديّ
الأستاذ المساعد بمركز اللغات– جامعة تعز

الخلاصة

هذا البحث محاولةٌ لرصد شواهد جموع الكثرة الستة عشر المشهورة في القرآن الكريم ودراسة هذه الشواهد دراسةً صرفيّةً من حيثُ القياسُ والسماعُ أوّلًا، ثمّ هو محاولةٌ للوقوف على القيم الدلاليّة والأغراض البلاغيّة من توظيف وزن معيّنٍ من أوزان جموع الكثرة في السياق الذي ورد فيه دون أوزان الجموع الأخرى التي تتيحها اللغة العربيّة الفصحى بما فيها جموع التكسير بنوعيها (جموع الكثرة وجموع القِلّة) والجموع السالمة .وقد استبعد الباحث من دراسته هذه صيغ منتهى الجموع التي تُعدّ في الصناعة الصرفيّة من صيغ جموع الكثرة؛ لأسباب واعتبارات ذكرها في مقدّمة هذه الدراسة ، كما اضطُرّ إلى استبعاد كثير من شواهد جموع الكثرة من هذه الدراسة وجعْل العيّنة المدروسة من هذه الشواهد انتقائيّةً؛ لأنّ المقام لا يتّسع لدراستها جميعًا. وقد خرجت الدراسة بنتائج جديدةٍ ونتائج إحصائيّةٍ يمكن أن يفيد منها المتخصصون في الدراسات الأسلوبيّة الإحصائيّة.

مقدّمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للكائنات، ثمّ أمّا بعد: فإنّ البحوث اللغويّة التطبيقيّة التي اتّخذت من القرآن الكريم حقلًا للدراسة والتطبيق كثيرةٌ جدًّا، وقد توفّر كثيرٌ من الدارسين على هذا النوع من الدراسات لأسبابٍ مختلفةٍ: بعضها دينيٌّ يتعلّق بالرغبة في خدمة كتاب الله والتبرّك بالعكوف عليه، وبعضها ينطلق من مسلَّمةٍ لغويّةٍ مفادها أنّ القرآن الكريم يمثّل أرقى مستوىً لغويٍّ منجَزٍ، وبالتالي فإنّ الباحث سيجد فيه ضالته حتمًا من الظواهر اللغويّة والأسلوبيّة الفريدة التي تستحق بذل الجهد وإنفاق الوقت. وبعضها مبعثه التطلّع إلى الوقوف على الجديد في طيّات هذا الكتاب الكريم المعجز؛ لأنّه الكتاب الكريم الذي لا تنقضي عجائبه .ولعلّ هذه الأسباب كلّها مجتمعةً ، كانت ضمن دوافع اختيار هذا البحث ، وقد آثر الباحث دراسة جموع الكثرة تحديدًا في القرآن الكريم؛ لأنه

وقف من خلال قراءته على نماذج فريدةٍ من التوظيف القرآنيّ لهذا النوع من جموع التكسير، فأحب أن يجلّي طبيعة هذه الجموع في الاستعمال القرآني من حيث القياس والسماع أوّلًا ، ثُمّ من حيث القيم الدلاليّة التي حفلت بها هذه الصيغ في السياقات القرآنية التي وردت فيها ما أمكنه إلى ذلك سبيلًا. وقد اختار الباحث من أوزان جموع الكثرة ستة عشر وزنًا هي أشهر الأوزان التي ذكرتها كتب الصرف، مستثنيًا أوزان صيغ منتهى الجموع؛ لأسبابٍ منها:

أ- أنّ صيغ منتهى الجموع سبق دراستها من قبل الزميل الدكتور رضوان الأسوديّ.

ب- ضيق المقام عن تناول أوزان جموع الكثرة جميعًا بما فيها أوزان صيغ منتهى الجموع.

ج- أنّ صيغ منتهى الجموع تمثّل حقلًا خاصًّا من حقول جموع الكثرة للأسباب الآتية:

1- قانون الجمع الذي تختصّ به دون جموع الكثرة الأخرى وهو قانون مجيء حرفين أو ثلاثة أحرف أوسطها ياءٌ ساكنةٌ بعد ألف جمعها على ما هو مقرّرٌ في كتب الصرف .

2- كون هذا النوع من جموع الكثرة ممنوعًا من الصرف بدون استثناء ، أمّا جموع الكثرة الستة عشر الأخرى فأغلبها مصروفٌ باستثناء القليل منها ، كوزن : فُعَلاء ، وفُعَل (جمعًا لـ فَعْلى صفةً) ، نحو : أُخَرَ ، وصُغَرَ.

3- أنّ صيغة منتهى الجموع لا يجوز أن تُجمَع "بخلاف كثيرٍ غيرها من جموع التكسير ، فإنّه قد يُجمع، نحو: أنْعامٍ وأكْلُب، يُجمعان على: أناعِم، وأكَالِبٍ "[1]، وكذلك نحو : جِمالاتٍ، رِجالاتٍ، وكِلاباتٍ، وبيوتات[2]. إنّ كلّ الخصائص السابقة لصيغة منتهى الجموع تجعل منها حقلًا مستقلًّا قائما بذاته ، له خصائصه المائزة التي قد تُبنى عليها نتائج معيّنة لا تنطبق على النتائج التي قد يخرج بها دارس أوزان جموع الكثرة الأخرى ، وهذا أحد الأسباب التي دفعت الباحث إلى استبعاد أوزان صيغة منتهى الجموع من حقل دراسته واقتصاره على أوزان جموع الكثرة الستة عشر المشهورة .وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون البحث غير مقيّدٍ بمنهجٍ واحدٍ محدّدٍ ، فقد اتّبع الباحث المنهج الاستقرائيّ الذي يقوم على تتبّع شواهد جموع الكثرة في القرآن الكريم واستقرائها بطريقةٍ إحصائيّةٍ ، ثمّ اتّبع المنهج الوصفي في تقديم وصفٍ صرفيّ بحتٍ للنماذج المدروسة من جموع الكثرة من حيث القياس والسماع، ثم اتّبع المنهج التحليليّ الذي هو قرين المنهج الوصفي ومرتبطٌ به بداهةً ؛ لأنّ كلّ وصفٍ للظاهرة اللغويّة لا بدّ أن يرافقه تحليلٌ لها ، اتّبع الباحث هذا المنهج التحليليّ في تحليل كلّ جمعٍ من جموع الكثرة المدروسة تحليلًا

دلاليًّ ، وفي بيان الإيحاءات الدلاليّة والقيم البلاغيّة التي تشتمل عليها بعض هذه الجموع في السياقات القرآنيّة التي وردت فيها. ومنهج الباحث في دراسته هذه أن يبدأ بذكر المدخل الصرفيّ النظريّ للوزن الأولّ من أوزان جموع الكثرة الستة عشر، ثمّ يُعقّبه بذكر ما تيسّر من شواهد هذا الوزن من القرآن الكريم محدّدًا عدد مرّات ورود كلّ شاهد في القرآن الكريم وحكم كلّ شاهدٍ من حيث القياس والسماع، ثُمّ يُعرّج على ذكر ما يحفل به كلّ شاهدٍ من قيمٍ بلاغيّةٍ ما وجد إلى ذلك سبيلًا، ثمّ ينتقل إلى وزنٍ آخر من أوزان جموع الكثرة، فيصنع فيه ما صنع في الوزن الأوّل، وهكذا إلى آخر البحث حتى يأتي على جميع أوزان جموع الكثرة الستّة عشر. ويجدر التنبيه على أنّ النماذج المدروسة جاءت اختياريّةً انتقائيّةً؛ لأنّ المقام لا يتّسع لدراستها جميعًا. وبعدُ: فهذا جهد المُقِلّ، وحسبُ الباحث نبل الغاية، فإن وُفّق فبفضل الله ومنّه، وإن أخطأ فمن نفسه ومن الشيطان، والله من وراء القصد.

توطئة

إنّ تعّدد الجموع للكلمة الواحدة من القضايا اللغوية التي شغلت علماء اللغة واسترعت انتباههم منذ وقتٍ مبكّرٍ من عمر الدرس اللغوي، ومن ثَمَّ عمدوا إلى تقديم تفسيرات لهذه الظاهرة اللغوية ومن الأسباب التي أشاروا إليها بهذا الصدد[3] :

1- اختلافُ لغاتِ العرب: كالأَقْوُس والأَقْواس: جمعُ قَوْسٍ، والأَمْكُنِ والأَمْكِنَةِ : جمعُ مكانٍ. ويشير الدكتور إبراهيم السامرَّائيّ إلى هذه القضية بقوله: "غير أننا نستطيع أن نلمح موادّ لغويةً قديمةً جداً احتفظت بها العربية، وهي تدل على اختلاف اللهجات المحلية، ومن هذه الموادّ مادةُ الجمع، ولا سيَّما ما اصطلح عليه علماء اللغة بجموع التكسير، ويعني هذا أننا نجمع كلمة واحدة على عدة صيغ من صيغ الجمع"[4]. ويؤكد الدكتور إبراهيم السامرّائيّ هذه الفكرة، فيجعلها التفسير الوحيد لتعدد صيغ الجمع للكلمة الواحدة، فيقول: "وكثرة صيغ جموع التكسير في العربية تسترعي التأمّل والنظر، بحيث لا نستطيع أن نفسّر ذلك بغير القول بتعدُّد اللهجات "[5].

2- ضرورات الشعر والسجع: كقول العرب آتيك بالغدايا والعشايا.

3- اختلاف المعنى: كأن يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى، فيُفرّق بين معانيها بالجمع ، كالربيع، فربيع الكلأ يُجمع على أَرْبِعَةٍ، وربيعُ الجدول يُجمع على أَرْبِعَاء، وخالُ الرَّجُل يُجمع على أَخْوَالٍ، والخالُ الذي في الجسد يُجمع على خِيْلان.

4- القِلّة والكَثْرة : فللقِلّة أوزان أربعة هي : أَفْعَال وأَفْعُل وأَفْعِلَة وفِعْلَة، كما أن الجمع السالم بنوعيه يدل على القِلّة. وأمّا جمع الكثرة ، فله أوزانٌ كثيرةٌ . والمراد بالقلّة ما كان من الثلاثة إلى العشرة ، فإن زاد على العشرة فهو جمع كثرة . وقد يُستعمل جمع القِلّة للدّلالة على القِلّة والكَثْرة والعكس صحيح، كالأقلام -وهو جمع قِلّة- يُستعمل للكَثْرة والقِلّة، وكالرِّجال - وهو جمع كثرة - يُستعمل لهما أيضاً. وقد يستعمل جمع الكثرة للدلالة على القِلّة وجمع القِلّة للدلالة على الكثرة لتحقيق غرضٍ بلاغيٍّ ما[6]. ولا نريد أن نطيل الكلام في هذا المهاد النظريّ ، ونكرّر المكرّر ، ونفضل الولوج إلى صلب الموضوع ، فنقول : إنّ أوزان جموع الكثرة الستة عشر التي ندرسها في القرآن الكريم هي:

(فُعْل)

يطّرد هذا الوزن جمعًا لشيئين[7] :

-الأول: (أَفْعَل) ومؤنّثه (فَعْلاء) ، كحُمْرٍ ، جمعُ أَحْمَرَ وحَمْراء ، وصُفْرٍ ، جمعُ أَصْفَرَ وصَفْراء ، وحُوْر، جمعُ أَحْوَر وحَوْراء، وعُوْر، جمع أَعْوَر وعَوْراء .

-الثاني: (أَفْعَل) الذي لا مؤنّث له أصلًا ، ككُمْر، جمعُ أَكْمَرَ (عظيم الكَمَرَة)، وأُدْر، جمعُ آدَرَ (عظيم الخصية)، و(فَعْلَاء) الذي لا (أَفْعَلَ) له أصلًا ، كرُتْق ، جمع : رَتْقَاء. وممّا ورد في القرآن الكريم على هذا الوزن ، ما يأتي:

لُدّ: ورد هذا الجمعُ في القرآن الكريم مرّةً واحدةً ، في قوله تعالى : (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً) [مريم : 97] ، وهو جمعٌ قياسيٌّ ؛ لأنّ مفرده (ألدَّ ، ولَدّاءَ) وصفٌ على وزن (أَفْعَلَ، وفَعْلاءَ). وقد تعدّدت دلالات (اللُّد) عند اللغويين والمفسرين، فمن قائلٍ: هم الخصماء العوج عن الحقّ، ومن قائلٍ: هم الصُّمُّ عن الحقّ، ومن قائلٍ: هم الفُجّارُ، ومن قائلٍ: هم المجادلون بالباطل، ومن قائلٍ: هم الظالمون الذين لا يستقيمون، ومن قائلٍ: هم الشداد الخصومةِ[8]. واشتقاقها من (اللَّدَد): وهو صفحة العنق[9]، كأنّ المتّصف ببعض الصفات السابقة يعرض بصفحة عنقه جانبًا علامة التأبّي ورفض الانثناء عن موقفه والانصياع للحق .

(فُعُل)

يطّرد هذا الوزن جمعًا لكُلِّ من[10] :

1- الوصف الذي وزن (فَعُوْلٍ) بمعنى (فاعِلٍ) ، كغفورٍ بمعنى غافرٍ ، وصبورٍ بمعنى صابرٍ .

2- الاسم الرباعي الذي قبل آخره مدٍّ، صحيحُ الآخر، مذكّرًا كان أم مؤنّثًا، ليس بمضعَّفٍ مدّتُه ألفٌ، نحو: قُذُلٍ : جمع قَذَالٍ (وسط مؤخر الرأس)، وقُضُبٍ : جمعُ قضيبٍ ، وعُمُدٍ: جمعُ عَمودٍ . ويجوز في عين هذا الجمع التسكينُ أيضًا إن لم تكن واوًا ، نحو : قُذْلٍ وقُذْلٍ، وعُمُدٍ وعُمْدٍ، إلّا أنّه إذا سُكّنت عينه وكانت ياءً، وجب كسرُ ما قبلها، نحو: بِيْضٍ: جمعُ أبيضَ. فإن كانت عين هذا الجمع واوًا، وجب تسكينها، نحو: سُوْرٍ: جمعُ سِوارٍ، وسُوْكٍ: جمعُ سِواكٍ. ومن الجموع التي وردت على هذا الوزن في القرآن الكريم، ما يأتي:

1- ذُلُل: ورد هذا الجمع في القران الكريم مرّةً واحدةً في قوله تعالى : (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: 69]. والذُّلُل: جمع ذَلُوْلٍ، وهو جمعٌ قياسيٌّ من باب (فَعُوْل – فُعُل)، وقد اختلف في الموصوف بـ (ذُلُل): أهي النحل أم السُّبُل؟[11] ، فاستدلّ أصحاب القول الأول بقوله تعالى: (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) [يس:72]، فالضمير في (وذللناها) عائدٌ على الحيوانات ومن جملتها النحل ، واستدلّ أصحاب القول الثاني بقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [الملك:15]، فالذَّلُوْلُ وصفٌ للأرض (السبيل) .والذي أراه أن (ذُلُلا) في الآية وصفٌ للسُّبل ، مع جواز كونها وصفاً للنحل؛ وذلك لأن السياقات القرآنيّة التي جاء فيها وصف المخلوقات بأنّها مذلّلةٌ، تشتمل على إشارة لغويةٍ أو حاليّةٍ إلى الإنسان الذي هي مُذلَّلَةٌ له؛ لإظهار تفضل الله عليه بجعلها مذلَّلةً له، كما في آية سورة (يس) وآية سورة (الملك)؛ لاشتمالهما على ضمير المخاطبين المذَلَّلِ لهم. أما في آية النحل هذه، فالخطاب الإلهيّ موجّه إلى النحل بالسعي في الأرض طلباً للرزق، ومن تمام تيسير الرزق تيسير الطرق الموصلة إليه، وهو المعنى المقصود في الآية . فبعد أن أمر الله النّحل بالسعي في الأرض طلباً للرزق (كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ)، أوحى لها أن السُّبُل ميسّرة مذلّلةٌ: (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) وهذا ما يجعل القول بتوجُّه الوصف بـ (ذُلُلا) إلى السبل أرجح من توجُّهه إلى النحل.

2- شُهُب: ورد هذا الجمع في القرآن الكريم مرةً واحدةً ، في قوله تعالى: (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً) [الجن : 8]. ومفرده شِهاب، ويُجمع أيضًا على شُهْبٍ (بتسكين الهاء) وعلى شُهْبان (بضم الشين) وعلى شِهْبان (بكسرها) وعلى أشْهُبٍ، جاء في تاج العروس: "ويقال للكوكب الذي ينقض على أثر الشيطان بالليل: شهاب، قال الله تعالى: (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِب)، ج: شُهُب ككُتُب، وجوّز بعضٌ فيه التسكين تخفيفًا، وشُهْبان بالضم، حكاه الجوهري

عن الأخفش، وشِهْبان بالكسر، وهو غريبٌ وأشْهُب بضم الهاء، قال ابن منظور: وأظنه اسمًا للجمع"[12]. فأمّا جمع شِهاب على شُهُب، فهو جمع كثرة قياسيٌّ؛ لأنّ مفردَه اسمٌ، رباعيٌّ، قبل آخره حرف مدٍّ، صحيح الآخِر، غيرَ مضعَّفٍ مدّتُهُ ألفٌ. وأمّا جمعُ شِهابٍ على شُهْبٍ (بتسكين الهاء)، فهو جمع كثرة على غير قياس إذ لا يجمع على(فُعْلٍ) إلّا ما كان صفة مشبهة على وزن (أفْعَل أو فَعْلَاء). وأمّا جمع شِهاب على شُهبان (بضم الشين) وعلى شِهبان (بكسر الشين)، فهو جمع كثرة على غير قياس أيضا. وأما جمع شِهاب على أشْهبٍ، فهو جمع قِلّةٍ على غير قياس؛ إذ لا يُجمع فِعال على أفْعُلٍ. وأما قول ابن منظور: إنّ (أشْهُب) اسمُ جمعٍ، فلم أجد له وجهاً؛ إذْ من المعروف في الصناعة الصرفية أنّ اسمَ الجمعِ: هو ما دلّ على جمعٍ وليس له مفردٌ من لفظه، أو كان له مفردٌ من لفظه، لكنه ليس على أي وزنٍ من أوزان الجمع القياسيّة، والحاصل أن (أشْهُب) على وزنٍ من أوزان جموعِ القِلّة وله مفردٌ من لفظه، فهو ولا شك جمع لكنه على غير قياس.

3- نُذُر: تُستعمل هذه الكلمة في اللغة جمعًا لنذير بمعنى مُنْذِر ، كما تستعمل بمعنى المصدر، أي الإنذار وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى الجمع ستّ مراتٍ، منها قوله تعالى: (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) [القمر: 5]. كما وردت بمعنى المصدر ستّ مرّاتٍ أيضًا، منها قوله تعالى (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) [القمر: ١٦] ، أي: ونذري، أي: إنذاري. ويلاحظ أنها حيث جاءت بمعنى المصدر تكون مضافة إلى ياء المتكلّم العائد على الله سبحانه وتعالى. قال صاحب اللسان: "والنذير، المحذِّر، فَعِيْلٌ بمعنى مُفْعِلٍ، والجمع نُذُرٌ "[13]. وجمع نَذيرٍ بمعنى مُنْذِرٍ على نُذُرٍ، هو جمع على غير قياس؛ لأنّ ما يُجمع على فُعُل من الصيغ التي هي بمعنى صيغٍ أخرى، إنّما هو فَعُوْلٌ بمعنى فاعِلٍ، نحو: صَبُور بمعنى صابر يُجمع على صُبُر، وغيور بمعنى غائر يجمع على غُيُرٍ. أمّا قياس جمع نذير فهو نُذَراء؛ لأن المفرد: وصف على فَعيلٍ بمعنى اسم الفاعل، لمذكّر عاقلٍ، غير مضعّف ولا مُعْتَلّ اللام، نحو: كريم وكرماء ،بخيل وبخلاء وظريف وظرفاء وسميع بمعنى مُسمِع وسُمَعَاء، وخليط بمعنى مُخالِط وخُلَطَاء، وجَلِيْس بمعنى مُجَالس وجلساء. يقول السامرائي: "ويطّرد فُعَلاءُ جمعًا لـ (فَعِيل) وصفِ ذَكَرٍ عاقلٍ بمعنى فاعِل أو مُفْعِل أو مُفَاعِل"[14]. وإذا كان (نُذُر، ونُذَرَاء) صيغتي جمع كثرةٍ، ونُذَراء جمعًا قياسيًا، ونُذُر جمعًا غير قياسيٍّ، فَلِمَ آثر السياقُ صيغة (نُذُرٍ) على (نُذَراء)؟ ولِمَ عدل عن الصيغة القياسية إلى الصيغة غير القياسية؟ إنّ صيغة (فُعَلَاء) تدلُّ على السجايا والطِّباع، جاء في شرح الرضي على الشافية:

"وأكثر ما يجيء (فُعَلَاء) في هذا الباب، إذا دلّ على سجيّةِ مدْحٍ أو ذمٍّ، كجُهَلاء وجُبَناء وشُجَعاء"[15]. والحاصل أن صفة الإنذار عند الأنبياء ليست من صفات السجايا والطباع، بل هي صفةٌ عارضةٌ طارئة بطروء منحة ومنصب النبوة عليهم ، وإلّا فإنّهم قبل اصطفائهم لمنصب النبوّة، لم يكونوا منذرين؛ لارتباط وظيفة الإنذار بمنصب النبوّة، إذْ هي من لازم معناها؛ لذلك عدل السياق عن صيغة فُعَلَاء (نُذَراء) الدّالّة على السجايا والطباع ؛ لأن الإنذار ليس من سجايا الأنبياء وطباعهم الثابتة فيهم ، بل هو عارض بعروض منصب النبوة وطروئه عليهم .ثم إن العدول عن الصيغة القياسية (فُعَلَاء) إلى الصيغة غير القياسية (فُعُل) يحقِّق قيمةً جماليّةً إيقاعيَّة، هي جمالية التناغم الصوتي الإيقاعي مع صيغ فواصل الآي السابقة (القمر، مستمر، مستقر، مزدَجَر) واللاحقة (نُكُر، منتشِر، عسِر، ....).

(فُعَل)

وهو جمعٌ لشيئين :

– الأول : الاسم الذي على وزن (فُعْلَة)، نحو غُرَفٍ جمعُ غُرْفَةٍ، وحُجَجٍ جمعُ حُجَّةٍ.

– الثاني : الصفة التي على وزن (فُعْلى) مؤنث (أفْعَل)، نحو: صُغَر جمعُ صُغْرى، وكُبَر جمعُ كُبْرى.

ومما شذّ عن هذه القاعدة : رؤىً : جمع رؤيا ؛ لانتفاء اسمية المفرد لكونه مصدراً ، ونُوَب : جمعُ نَوْبَةٍ ، وقُرَىً : جمعُ قَرْيةٍ ؛ لانتفاء ضمّ فاء المفرد ، وتُخَمٍ : جمعُ تُخَمَة ؛ لانتفاء سكون عين المفرد[16] .وممّا ورد في القرآن الكريم من ألفاظ هذا الوزن ما ياتي :

1– أُمَم : ورد هذا الجمع في القرآن الكريم اثنتى عشرة مرةً ، منها قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) [الأنعام :38]. والأُمَمُ جمعٌ قياسيٌّ ؛ لأن مفرده اسم على وزن فُعْلَة . والأُمَم : جمع أُمّة ، والأُمّة : الجيل والجنس من كل حي[17] .

2– قُرَى :ورد هذا الجمع في القرآن الكريم سبع عشر مرة ، منها قوله تعالى : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) [الأنعام : 92]. والقرى: جمع قرية ، وهو جمعٌ على غير قياس، والقياس جمع قرية على قِرَاء، جاء في تاج العروس ما نصُّه : "القرية: كُلّ مكان اتصلت به الأبنية واتُّخِذ قرارًا ، وتقع على المدن وغيرها...الجمع (قُرى) بالضم مقصور على غير قياس ، قال ابن السكيت لأنّ

ما كان على فَعْلَة بفتح الفاء من المعتلّ، فجمعه ممدودٌ : مثل رَكْوَة ورِكَاء وظَبْيَة وظِبَاء ، وجاء القرى مخالفًا لبابه لا يُقاس عليه" [18].

(فِعَل)

يطّردُ هذا الوزن جمعًا لاسمٍ على وزن (فِعْلَة) ، كقِطْعَة وقِطَع ، وحِجَّة وحِجَج ، وقد شذّ جمعُ قَصْعَة على قِصَعٍ[19] . وممّا ورد على هذا الوزن في القرآن الكريم ، ما يأتي :

نِعَم :ورد هذا الجمع مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِير) [الأنعام: 65] ، والنعم جمع نعمة و"(النعمة) الرفاهة وطيب العيش يقال هو في نعمة عيش في حسنه وغضارته ، وأفعله نعمةَ عيْنٍ : إكراما لعينك ، (النعمة) ما أنعم به من رزق ومال وغيره والحال الحسنة والصنيعة ويقال لك عندي نعمة لا تنكر : منة وفضل (ج) نعم وأنعم"[20]. والنِّعَم جمعُ كثرةٍ قياسيٌّ من باب (فِعْلَة – فِعَل) . أمّا الأنْعُمُ ، فهو جمعُ قِلَّةٍ على غير قياس ،إذْ لا يُجمع على أفْعُل قياسًا إلّا الاسم الثلاثيّ الذي على وزن (فَعْل) ، صحيحِ الفاءِ والعينِ ، غيرِ مضاعف ، والاسمُ الرباعيُّ المؤنثُ الذي قبل آخره حرفُ مَدٍّ[21] .إنّ المقام مقام تفضُّلٍ من الله وامتنانٍ منه (سبحانه) على كثرة نعمه على عباده ، وهي نعمٌ كثيرةٌ مبثوثةٌ في السماوات والأرض ، ثم إنَّ منها الظاهرُ ومنها الباطنُ ؛ لذلك كان إيثار صيغة الكثرة على صيغة القِلّة (هاهنا) مناسبًا لسياق الامتنان والتفضُّل اللذين تناسبهما الكثرة لا القِلَّة .

(فَعَلَة)

ويكون جمعًا لوصفِ المذكَّر العاقِل الصحيحِ اللَّام الذي على وزن (فاعِل)، نحو: كاتِبٍ وكَتَبَةٍ، وطالِبٍ وطَلَبَةٍ، وقد ورد من ألفاظ هذا الوزن في القرآن الكريم ما يأتي :

1- حَفَدَة:

ورد هذا الجمع في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) النحل:72. وعن دلالة هذا الجمع، يقول ابن منظور: "والحفدة الأعوان والخَدَمَة، واحدهم حافِد ... وقيل أولاد أولاده، وقيل الأصهار. والحفيد: ولد الولد، والجمع حُفَدَاء، وروي عن مجاهد في قوله: (بنين وحفدة) أنّهم الخدم ... وقال الحسن: البنون: بنوك وبنو بنيك، وأمّا الحَفَدَة، فما حفدك من شيء وعمل

لك وأعانك، وروى أبو حمزة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (بنين وحفدة) ، قال: من أعانك، فقد حفدك...، وقال عكرمة: الحَفَدَة: مَنْ خدمك من ولدك وولد ولدك، وقال الليث: الحفدة: ولد الولد ..، وقال ابن عرفة: الحَفَدُ عند العرب الأعوان، فكُلُّ مَنْ عمل عملًا أطاع فيه وسارع ، فهو حافِد، ومنه قوله: (وإليك نسعى ونحفد) "[22] .من النص السابق نستنتج أنَّ (الحَفَدَة) يأتي وصفًا بمعنى الأعوان مطلقًا ، ويأتي اسمًا بمعنى أولاد الأولاد، فعلى المعنى الأول يكون مفرد حَفَدَة حافِدًا ، ويكون حَفَدَة جمعًا قياسيًّا؛ لأنَّ مفرده صفةٌ لمذكر عاقل، صحيح اللام ، على وزن فَاعِل .أمَّا على عَدِّ (حَفّدَة) جمعَ حَفِيْدٍ، فيكون حَفَدَة جمعًا على غير قياس؛ لأن (فَعِيْلًا) من الأسماء يُجمع على (فُعْلَان)، كقَضِيْبٍ وقُضْبَانٍ، وَرَغِيْفٍ ورُغْفَانٍ، كما يُجمع على (فُعُلٍ)، نحو: قَضِيْبٍ وقُضُبٍ وسَرِيْرٍ وسُرُرٍ.

أمّا مَنْ عَدَّ أولاد الأولاد حَفَدَةً من جهة أنهم يعينون آباءهم ويخدمونهم ، فتكون (حَفَدَة) صفةً لا اسمًا، وتكون حينئذٍ جمعًا قياسيًّا. وأمّا جمعُ حَفِيْدٍ على حُفَدَاءَ، فهو أيضًا جمعٌ على غير قياسٍ، لأنّه لا يُجمع هذا الجمع مِن الصفات إلَّا مادلّ على سجيّةِ مدحٍ، نحو: ظريف وظُرَفَاء وكريم وكُرَمَاء ونبيل ونُبَلَاء، أو ما دلّ على سجيَّةِ ذمٍّ، نحو: بخيل وبُخَلَاء ولئيم ولُؤَمَاء، وحَفَدَةُ وصفٌ مطلقٌ لايراد به مدحٌ أو ذمٌّ.

2- سَحَرَة:

ورد هذا الجمع ثماني مرات في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى: (وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ)[الأعراف:113] ، والسحر في اللغة: "كلُّ ما لَطُفَ مأخَذُهُ ودَقَّ والفعلُ كمنع"[23]، والسحرة جمع ساحر، ويُجمع السّاحر أيضًا على سُحَّار ، قال ابن منظور: "ورجل ساحر من قوم سَحَرَة وسُحَّار"[24]. أمّا السَّحَرَة، فهو جمع على القياس؛ لأنَّ مفرده (ساحر) صفةٌ لمذكرٍ عاقلٍ صحيحِ اللام على وزن فاعِل، وكذلك (سُحَّار) جمعٌ قياسيٌّ؛ لانَّ مفرده صفةٌ صحيحة اللام على وزن (فاعِل). ويرى فاضل السامرّائيّ أنّ هذا الوزن من أوزان جموع الكثرة يدلّ على الاسميّة لا على الوصفيّة، وأنّه قد اكتسب الاسميّة من التاء الملحقة بآخره ، يقول السامرّائيُّ: "ويُطلق هذا الجمع على الصنف من العُقَلاء، كالباعَة والقادة والقضاة والصاغة والكَتَبَة؛ فإنّ هذه التاء تحوّل الوصف إلى الاسميّة "[25]. ويقول في موضعٍ آخر: "والذي نراه في هذا الباب، أنّ التاء التي ليست للتأنيث تُحوّل الوصف إلى الاسميّة، وقد مرّ بنا شيءٌ من هذا الباب، كالذَّبيحة والنَّطيحة والضَّحيّة ، فقد حوّلت التاء الوصفَ إلى الاسميّة، أي: حوّلتها إلى الذات، فالذّبيحة هي ما أُعدّ للذَّبْح من النَّعم، وكذا الضحيّة، ونحوه ما جاء في أطعِمة العرب،

كالرّبيْكة والرَّغيدة والصَّحيرة والسَّخونة... ومثله أسماء الحشْر وهي مؤنّثة في الغالب، كالقارعة والطّامّة والصّاخّة، فالقارعة هي ليست وصفًا لكلّ ما يقرع وإنّما هو اسمٌ لهذا اليوم المخصّص وكذا الطّامّة والصّاخّة وأخواتها"[26]. وقد استند السامرّائيُّ فيما ما ذهب إليه على ملاحظةٍ ذكيّةٍ منه وعلى نصّين نفيسين لعلمين من أعلام التراث العربيّ :

أمّا ملاحظته الذكيّة ، فقد أوضحها بقوله : "والدليل على ذلك ، أنّا لم نجد ممّا خُتِم بهذه التاء من صيغ المبالغة عاملًا في كلام العرب ؛ لأنّه أصبح اسمًا لهذا الضرب من الناس الذين يزاولون هذه الأفعال ، فلم نجد مثلًا : هو راويةٌ الشعرَ أو فهّامةٌ الأمورَ كما وجدنا : حذرٌ أمورًا لا تضير ، وإنّه لمنحارٌ بوائكَها"[27] .وأمّا مستنده التراثيّ ، فيتمثّل في نصّين : الأوّل للزمخشريّ أورده في سياق تفسيره لقوله تعالى : (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) [النمل : 75] ، وهو قوله : "سُمّي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبةٌ وخافيةٌ ، فكانت التاء فيهما بمنزلتها في : العافية والعاقبة ونظائرهما : النطيحة والرميّة والذبيحة في أنّها أسماءٌ غير صفاتٍ"[28] . والآخر للفخر الرازي يقول فيه : "الداهية التي هي اسم الفاعل من دَهاهُ أمرُ كذا إذا أصابه وهو أمرٌ صعبٌ ؛ لأنّ الداهية صارت كالاسم الموضوع للشديد على وزن الباطية والسائبة التي لا تكون من أسماء الفاعلين وإن كانت الداهية أصلها ذلك غير أنّها استُعملتْ استعمال الأسماء وكُتبتْ في أبوابها ، وعلى هذا يكون معناه ألزمَ وأضيق ، أي : هي بحيث لا تُدفَع "[29] .

وقد وقفتُ على إشارةٍ رائدةٍ إلى هذا المعنى عند سيبويه في كتابه ، فقد ذكر في سياق حديثه عن صيغة (فَعيْل) التي تكون في معنى (مَفْعول) أنّها " في المؤنّث والمذكّر سواءٌ... وتقول : شاةٌ ذَبيْحٌ ، كما تقول: ناقةٌ كسيرٌ . وتقول : هذه ذبيحة فلانٍ وذبيحتك ، وذلك أنّك لم تُرد أن تُخبر أنّها قد ذُبِحتْ . ألا ترى أنّك تقول ذلك وهي حيّةٌ ، فإنّما هي بمنزلة ضَحِيَّة ، وتقول : شاةٌ رَمِيٌّ إذا أردت أن تُخبِر أنّها قد رُميتْ ، وقالوا (بئس الرَّمِيَّةُ الأرنب) ، إنّما تريد : بئس الشيء ممّا يُرمى ، فهذه بمنزلة الذَّبيْحَة . وقالوا : نعجةٌ نطيحٌ ، ويُقال: نَطيْحة ، شبّهوها بسمينٍ وسمينةٍ ، وأمّا الذَّبيحة ، فبمنزلة القَتُوبَة والحَلُوبَة ، وإنّما تريد : هذه ممّا يَقْتِبون ، وهذه ممّا يحْلُبون ، فيجوز أن تقول : قَتُوْبةٌ ولم تُقْتَبْ ، ورَكُوْبَةٌ ولم تُرْكَبْ ، وكذلك فَرِيْسة الأسد بمنزلة الضّحِيّة ، وكذلك أَكِيْلة السَّبُع"[30] .ونصّ سيبويه صريحٌ في أنّ نحو : ذَبيْحٍ وكَسيْرٍ ورَميٍّ ونَطيْحٍ وقَتوْبٍ وحَلوْبٍ ورَكوْبٍ في أنثى الحيوان صفاتٌ تُطلق عليها وقد وقع عليها الفعل ، فالذبيحة التي ذُبِحت والكسيرة التي كُسِرت .. وهكذا في بقيّة الصفات ، أمّا إذا أُلحقت بها التاء ، فقيل : ذَبيحة وكَسيرة ورميّة ونَطيحة وقَتوبة وحَلوبة ورَكوبة ، فهي حينئذٍ أسماءٌ دالّةٌ على أنّ المسمّى بها ممّا هو

مُعدٌّ أو مهيّؤ أو قابلٌ للذّبْح والكسر والرمي... ولا يصحّ بحالٍ أن نَعُدّ ما لحقته التاء من أمثال هذه الألفاظ صفاتٍ، لأنّ العرب تُسمّي الشاة ذبيحة وهي حيّةٌ لم تُذبَح ، فكيف يستقيم أن نصف الحيّ بصفة الموت المضادّة للحياة التي هي من لازم الذّبح !! ويُقال مثل ذلك في بقيّة الألفاظ .

من كل ما سبق ندرك ان (السَّحَرَة) اسم لهذا الصنف من الناس وليس وصفًا لهم بكثرة السحر، والاسم أقوى دلالةً في مقام المبالغة؛ لأنَّ الاسم لا يتحول عن الإنسان بينما الصفة قد تتحوّل عنه، فالسحر (صفةً) يمكن تركه والانصراف عنه، لكن السِّحْر (اسمًا) ملازمٌ للإنسان لا ينفك عنه، وهذا أبلغ في مقام التخويف والترهيب، أي: إنّهم جاؤوا موسى بسَحَرَةٍ مسمَّين بهذا الاسم منسوبين إليه.

3- كَفَرَة:

ورد هذا الجمع مرةً واحدةً في القرآن الكريم في قوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) [عبس:43] . والكفرة جمع كافر، وهو جمع قياسيٌّ؛ لأنَّ مفرده صفةٌ لمذكرٍ، عاقلٍ، صحيحِ اللام، على وزن فاعل. كما يُجمع الكافر قياسًا على كُفّارٍ؛ لأن مفرده صفة ٌ، صحيحة اللام، على وزن فاعل، ويُجمع أيضًا على (كِفَارٍ)، وهو جمعٌ على غير قياس، وهي جميعًا جموع تكثير .كما يُجمع جمعَ قِلَّةٍ سالمًا على (كافرون)، ويُقال في المبالغة (كَفُوْرٌ، وكفَّار، والأنثى كَفُوْرٌ أيضًا) وجمعُها جميعًا (كُفُرٌ)[31]. إن إيثار صيغة الجمع (كَفَرَة) دون غيرها من صيغ جموع الكثرة الأخرى، ودون جمع القِلّة السالم يحمل القيم الجمالية الآتية:

1- المبالغة في نسبة الكفر إليهم بجعله اسمًا لهم لاصفةً، وهي الدلالة التي تكتنزها صيغة (فَعَلَة)، كما مرّ بنا قريبًا في صيغة جمع الكثرة (سَحَرَة) .

2- التناسب الصيغيُّ الوزنيُّ مع كلمة (الفَجَرَة) التالية؛ تحقيقًا لجمالية التناغم الإيقاعيّ الوزنيّ بينهما، وهو تناسب اقتضاه قانونان لغويان معتبران هما:

أ- قانون الجوار:

لقد أشار الدارسون القدماء إلى فاعلية قانون الجوار في إحداث أنواع من التاثيرات بين المتجاورات، يقول العكبري: "والجوار مشهورٌ عندهم في الإعراب وقلب الحروف بعضها إلى بعضٍ والتأنيث وغير ذلك"[32]. ويرفدنا نصّ العكبريّ السابق بأنواع من التاثيرات التي تحدث بين الدوالّ اللغوية المتجاورة بتأثير قانون الجوار، وهي التأثير الإعرابيّ (الإعراب)، والتاثير الصوتيُّ (قلب الحروف بعضها إلى بعض)، والتأثير النوعي (التأنيث). إنّ تماثل المتجاورين على المستوى الإعرابيّ والصوتيّ والنوعيّ في كثيرٍ من

السياقات الأدبية والقرآنية يقتضي تماثلهما على المستوى الصيغيّ الصرفيّ؛ تحقيقًا لجمالية التناسب والتماثل الكُلّيَّ بين المتجاورين، وهي قيمةٌ جماليةٌ إضافيّةٌ، ولكنها ليست ضرورة حتميَّة .وفي الآية الكريمة، تظهر أنواعٌ من التماثلات بين الكلمتين المتجاورتين ،إذ تتماثلان في الإعراب (كلتاهما خبر)، وفي النوع (كلتاهما مذكّر) وفي العدد (كلتاهما جمع) وفي التعريف (كلتاهما معرفة). إنّ التماثل بين هاتين الكلمتين على هذه المستويات جميعًا، يقتضي تماثلهما على مستوى الصيغة الصرفيّة أيضًا؛ تحقيقًا لجمالية التماثل الكليّ بينهما.

ب– قانون التماثل الموقعيّ في السياق الواحد:

حين يضم السياق اللغوي الواحد مفردتين أو مفرداتٍ متعددةً تتماثلان أو تتماثل على المستوى الإعرابي (الموقع في التركيب اللغوي)، يُصبح التماثلُ على المستوي الصيغيّ مطلبًا منطقيًّا ومنحىً جماليًّا إيقاعيًّا ملحًّا، ففي قول الخنساء:

حمّالُ ألويةٍ هبّاط أوديةٍ شهّادُ أنديةٍ للجيشِ جرّار[33]

يتضافر التماثل الموقعيّ للدوالّ (حمّال، هبّاط، شهّاد، جرّار) (كلها أخبارٌ لمبتدأ محذوفٍ، تقديره: هو) مع التماثل الصيغيّ لها (كلُّها صيغُ مبالغةٍ) لخلْق نسقٍ متتابعٍ من الدوالِّ المتّسمة بالتضامّ المنطقيّ والتجانس الصوتيّ الإيقاعيّ، وتبرز جمالية التماثل الصيغيّ في السياق السابق حين نقابله بالسياق المتصوّر الآتي:

حمّال ألويةٍ يهبط أودية شهّاد أندية للجيش جارّ

إذْ تمثِّل صيغتا المضارع (يهبط) واسم الفاعل (جارّ) كسرًا للنسق المتماثل منطقيًّا وإيقاعيًّا من صيغ المبالغة (فعّال) الذي افترضته صيغة الاستهلال (حمّال) وأكّدته صيغة التعزيز (شهّاد).

وتظلّ مسالة التماثل الصيغيّ بناءً على التماثل الموقعيّ، ضرورةً ملحةً لتحقيق جمالية الاتّساق والتجانس ، ولكنّها في كُلِّ الأحوال ليست ضرورةً حتميةً واجبة التحقق .وفي الآية الكريمة تتماثل كلمتا (الكَفَرَة ، والفَجَرَة) في الموقع الإعرابيّ كما أشرنا سابقًا (كلتاهما خبر)، هذا التماثل الموقعيّ الإعرابيّ نعدُّه من مسوّغات التماثل الصيغي الصرفيّ تحقيقًا لجمالية التماثل والتناغم بين الصيغتين.

(فَعْلَى)

يطّرد هذا الوزن في الوصف الدالّ على هلاكٍ أو وجعٍ أو تشتُّتٍ مما كان مفرده على أحد الأوزان الآتية:

-الأول: فَعِيْل، نحو: قَتِيْل وقَتْلى، وجَرِيْح وجَرْحى، أَسِيْر وأسْرى

- الثاني: فَعِل، نحو: زَمِن وزَمْنى.

- الثالث: فاعِل، نحو: هالِك وهَلْكى.

- الرابع: فَيْعِل، نحو: مَيِّت ومَوْتى.

- الخامس: أَفْعَل نحو: أحْمَق وحَمْقى

- السادس: فَعْلان، نحو: عَطْشَان وعَطْشى[34] .

وما جاء على هذا الوزن مما سوى ما سبق ، فهو شاذٌّ يُحفظ ولا يقاس عليه ، نحو : (كَيْسى) جمعُ كَيِّس و(ذَرْبى) جمع (ذِرب) ، ومما جاء من ألفاظ هذا الوزن في القرآن الكريم ، مايأتي :

1- أَسْرى:

ورد هذا الجمع مرةً واحدةً في القرآن الكريم ، في قوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) الأنفال:67. والأسرى جمعُ أسيرٍ، "وكُلّ محبوسٍ في قيدٍ أو سجنٍ أسيرٌ"[35] ، كما يُجمع الأسير (أيضًا) على أُسَراء وأُسارى وأَسارى، جاء في اللسان: "الأسير: المسجون والجمع أُسَراءُ وأُسارى وأَسارى "[36]. أما الأَسْرى، فهو جمع قياسيٌّ؛ لأنّ مفرده صفة على وزن (فَعِيْل) بمعنى (مَفْعُول) دالَّةٌ على بليّةٍ أو آفةٍ، وأمّا الأُسَراء، فهو جمعٌ على غيرِ قياس؛ إذْ لا يُجمع (فَعِيل) على فُعَلاء إلّا إذ كان بمعنى اسم الفاعل (فاعِل، مُفْعِل، مُفاعِل) وأسِيْر بمعنى اسم المفعول (مَأْسور)، لا بمعنى اسم الفاعل، وأمّا أُسارى وأَسارى، فهما صيغتا منتهى الجموع.

2- مَوْتى:

ورد هذا الجمع سبع عشرة مرةً في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [البقرة:73]. والموتى جمع ميّت، وهو جمعٌ قياسيّ؛ لأنّ مفرده وصفٌ دالٌّ على هلاكٍ على وزن فَيْعِل .والميّت يُجمع على (مَوْتى، وأَمْوَات، وميّتين) وقد خصّ القرآن الكريم كلّ جمعٍ من هذه الجموع بدلالةٍ معيّنةٍ[37]، فحيث ورد هذا الجمع (مَوْتى) في القرآن الكريم، فهو للدلالة على الموت الحقيقيّ الحاصل بخروج الروح من الجسد ، خلافًا للجمع (أَمْوات) الذي ورد في الاستعمال القرآنيّ للدلالة على الموت الحقيقيّ والموت المعنويّ جميعًا، فمن استعماله بمعنى الموت الحقيقيّ قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) [فاطر22]. ومن استعماله في الموت المعنويّ، قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[البقرة : 28] .وأمّا الجمع (ميّتون)، فقد استعمله القرآن للدلالة على من لم يمت بعدُ، كما في قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ) [المؤمنون :15]. ومن هنا ندرك دقّة إيثار السياق القرآنيّ للجمع (الموتى) في آية البقرة السابقة؛ لأن السياق سياق حديثٍ عن قصّة رجلٍ قُتل ثمّ أحياه الله، فهو ميّتٌ موتًا حقيقيًّا، فآثر السياق الجمع (الموتى) للدلالة على هذا المقتول وغيره ممّن ماتوا موتًا حقيقيًّا حاصلًا بخروج الروح.

(فِعَلَة)

ويطّرد جمعًا لـ (فُعْل) بضمّ الفاء اسمًا صحيحَ اللّام، وهو كثيرٌ في اللغة نحو: قُرْطٍ وقِرَطَة، ودُبٍّ ودِبَبَة، وقَلَّ مجيؤه من (فَعْل) بفتح الفاء اسمًا صحيح اللام نحو: غَرْد وغِرَدَة (نوع من الطيور) كما قلّ مجيؤه من (فِعْل) بكسر الفاء اسمًا صحيح اللام نحو: قِرْد وقِرَدَة[38]. ولم يرد على هذا الوزن في القرآن الكريم غير كلمة (قِرَدَة) وقد تكررت هذه الكلمة في القرآن الكريم ثلاث مرات منها قوله تعالى (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [البقرة:65]. ويُجمع (قِردٌ) على: قُرُود وأَقْراد وقِرَدَة[39]، فأمّا (قُرُود)، فهو جمع كثرةٍ قياسيٌّ، وأمّا (أَقْراد)، فهو جمع قِلّةٍ قياسيٌّ أيضًا، وأمّا (قِرَدَةٌ)، فهو جمعُ كثرةٍ سماعيٌّ على غير قياس. ولنا أن نتساءل عن دلالة إيثار صيغة جمع الكثرة السماعيّ (قِرَدَة) على جمع الكثرة الآخر القياسيّ (قُرود) وعلى جمع القِلّة (أَقْراد) في المواضع الثلاثة التي ورد فيها هذا الجمع في القرآن الكريم. وفي سعينا للإجابة عن هذا التساؤل تعِنّ لنا خواطر منها:

إنّ إيثاره جمع القِلّة واضحٌ من جهة أنّهم كانوا كثرةً كاثرةً ، يدلّ عليه قول القرطبيّ في تفسير معنى الضمير في قوله تعالى: ({فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً) [البقرة : 66]: "وقيل : الأمّة التي مُسخت"[40] . فالذين

مُسخوا قِرَدَةً أمّةٌ كاملة ، فناسب استعمال صيغة الكثرة في الإشارة إليهم .أمّا إيثار صيغة جمع الكثرة السماعيّة (قِرَدَة) على صيغة جمع الكثرة القياسيّة (قُرود) ، فغرضُهُ تعزيز دلالة الاسميّة الدّالّة على الذات في هذا الجمع (قِرَدَة) دون الجمع الآخر (قُرود) ، وقد جاءت وظيفة التعزيز هذه من اللاحقة (التاء) في نهاية الجمع (قِرَدَة) ، ونتّكئ في اعتماد هذه الوظيفة للتاء على ما ثبت لدينا آنفًا من أنّ وظيفة التاء في مثل: سَحَرَة وكَفَرَة وذبيحة ونطيحة وركوبة وحلوبة... وأمثالها ، هي نقل الكلمة من الوصفيّة إلى الاسميّة، وإذا كان ذلك كذلك ، فلنا أن نقول : إنّ إلحاق التاء هذه ببعض أوزان أنواعٍ من الأسماء (قِرَدَة مثلًا) في سياقاتٍ معيّنة دون أوزانٍ أخرى لهذه الأنواع نفسها من الأسماء (قُرود مثلًا) قد يؤدّي وظيفةَ تعزيز دلالة الاسميّة في هذه الأسماء التي أُلحِقَت بها هذه التاء .وبتأمّل السياقات التي ورد فيها جمع الكثرة (قِرَدَة) في المواضع الثلاثة في القرآن الكريم ، تتّضح لنا هذه الفكرة . إنّ السياق في الآيات الثلاث هو سياقٌ واحدٌ جاء الحديث فيه عن مسخ أمّةٍ من الأمم قِرَدَةً ؛ ولأنّ قضّيّة مسخ الخِلْقة وتحويلها إلى خلقةٍ أخرى ممّا لم تجرِ به العادة ، فهي مظنّة الإنكار وعدم التصديق عند غير المؤمنين من سيّئيّ الظنون ، وهي مظنّة التأويل عند أصحاب الظنّ الحسن من المؤمنين .ويؤيّد ما ذهبنا إليه اختلاف المفسرين في حقيقة المسخ ، فمنهم (وهم الجمهور) من ذهب إلى أنّ المسخ كان على الحقيقة ، وعليه فقد جعلوا معنى قوله تعالى :(قِرَدَةً خاسئين) "جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار"[41]. ومنهم من ذهب إلى أنهم "مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) [الجمعة: 5]"[42]. إنّ صيغة الجمع (قُرُوْد) هي اسمٌ بلا خلاف، لكنّها في سياقاتٍ معيّنة قد تُستعمل صفةً، فكثيرًا ما يُطلق على الأقوام الذين يمارسون الرذيلة علنًا بأنّهم قرودٌ؛ لأنّ هذه الصفة من صفات القرود ، كما يُطلق هذا الاسم على أقوامٍ غلبت عليهم الذّلّة، والقرود مشهورةٌ بالذّلّة أيضًا، والاسم (قُرود) في مثل هذه السياقات فيه رائحة الصفة؛ لأنّه مستعملٌ على معنى التشبيه، إذْ لو كان مستعملًا على حقيقته (الاسميّة) لما ساغ إطلاقه على الآدميّين .ومن هنا تتبيّن لنا أهمّيّة القول بوظيفة التاء الملحَقة بقِرَدَة في المواضع الثلاثة من القرآن الكريم في الدلالة على تعزيز معنى الاسميّة ، كما يتبيّن لنا الغرض من إيثار هذه الصيغة على صيغة قُرُوْد. إنّ إيثار صيغة الكثرة (قِرَدَة) المُلحَقة بدالّ تعزيز الاسميّة يأتي للتأكيد على أنّ مسخ الأمّة المذكورة قِرَدَةً كان على سبيل الحقيقة لا المجاز، وأنّه كان مسخًا لصورهم وأبدانهم، لأنّ هذا النوع من المسخ أدعى إلى الاعتبار والاتّعاظ بحالهم، وأبيَن لشدّة الغضب الإلهيّ عليهم بسبب أفعالهم الشنعاء؛ لذلك ناسب تسميتهم بـ (قِرَدَة) الدالّة على الاسميّة الخالصة المُفرَغة من دلالة الوصف التشبيهيّ التي تحتملها صيغة الجمع (قُرُوْد) وتُوهِمُها على ما بيّنّاه سابقًا.

(فُعَّل)

ويطّرد في الوصف الذي على وزن (فاعِل وفاعِلة) صحيحي اللام، نحو رُكَّع جمعُ راكِع وراكِعَة، وصُوَّم جمعُ صائِمٍ وصائمة ، وشذَّ صوغه من الوصف الذي على وزن (فاعِل وفاعِلة) ، معتلّي اللام، نحو: غازٍ وغُزَّىً، كما شذّ في جمع نحو: (فَعيْلَة وفَعْلاء)، نحو : خَرِيْدَة وخُرَّدٍ، ونُفَساء ونُفَّسٍ[43] . وممّا ورد من جموع هذا الوزن في القرآن الكريم ، ما يأتي :

1- خُنَّس: ورد هذا الجمع مرةً واحدةً في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ) [التكوير :15]، والخُنّس جمعُ كثرةٍ قياسيٌّ ؛ لأن مفرده صفةٌ صحيحةٌ اللام على وزن فاعِل .وعن دلالات مادة هذا الجمع ، يطالعنا اللسان بما نصّه "الخُنُوس : الانقباض والاستخفاء ، خَنَسَ من بين أصحابه يخْنِس ويخْنُس بالضمّ خنوسًا وخِنَاسًا وانْخَنَس انقبض وتأخّر.. الخُنَّس جمعُ خانِس، أي متأخِّر... والكواكب الخُنَّس: الدراريّ الخمسة تخنِس في مجراها وترجع...ويقال سميت خُنّسًا؛ لتأخّرها؛ لأنها الكواكب المتحيّرة التي ترجع وتستقيم، ويقال: هي الكواكب كلّها لأنها تخْنِس في المغيب أو لأنّها تخفى نهارًا... قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال أكثر أهل التفسير في الخُنَّس: إنها النجوم، وخنوسها أنّها تغيب، وتكْنِس: تغيب أيضًا، كما يدخل الظبي في كناسِهِ، قال والخُنّس: جمع خانِس"[44]. وعن دلالة هذا الوزن من أوزان جموع الكثرة (فُعَّل) ، يقول فاضل السامرّائيُّ : "ويدلّ هذا الجمع على الحركة الظاهرة ، كما أنّ فيه الدلالة على تكثير القيام بالفعل"[45] . إنّ إيثار السياق القرآنيّ لهذا الجمع (الخُنّس) في الحديث عن الكواكب التي تغيب يكشف عن دقة التعبير القرآنيّ الفريدة في أداء المعاني ، فقد اختار السياق القرآنيّ هذا الجمع ليطابق دلالة الحركة الظاهرة لهذه الكواكب ، لأنّ الخنوس/الغياب هو فعلٌ حركيٌّ ظاهرٌ ، وكذلك ليُطابق كثرة وقوع ظاهرة الغياب وتكرارها .

2- رُكَّع : ورد هذا الجمع ثلاثَ مرّاتٍ في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [البقرة :125] ، يقول ابن سيده : "الركوع : الخضوع عن ثعلب ، ركع يركع رَكْعا ورُكُوعا : طأطأ رأسه ، وكُلّ قومة في الصلاة ركعة وجمع الرّاكع رُكَّع ورُكُوع ، وركع الشيخ انحنى"[46]. فأمّا رُكَّع ، فهو جمع كثرةٍ سماعيٌّ، وأمّا رُكُوع ، فهو جمع قياسيٌّ من باب (فاعِل – فُعَّل) .وإذا كان المفرد (الراكع) يُجمع على : الرُكوع والرُكّع ، كما أنّ (الساجد) يُجمع على السُجود والسُجّد ، فلنا أن نتساءل عن دلالة إيثار السياق للجمع (الرُكّع) دون الجمع (الرُكوع) الذي

كان استعماله سيُحقّق التناسب الوزنيّ مع الصيغة التالية المجاورة (السُّجود) !! إنّ الجواب على هذا التساؤل يتطلّب منّا بعض الاستطراد الذي قد يكون نافعًا في هذا المقام ، فقد نقل السامرائيّ[47] عن الزركشيّ قوله نصًّا :"هلّا قيل (السُّجّد) كما قيل (الرُّكّع) ، وكما جاء في آيةٍ أُخرى (تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً) [الفتح :29] . والجواب : إنّ السجود يُطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع ، فلو قال : (السُّجَّد) لم يتناول إلّا المعنى الظاهر ، ومنه (تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً) ، وهو من رؤية العين ، ورؤية العين لا تتعلّق إلّا بالظاهر ، فقصد بذلك الرمز إلى السجود المعنويّ والصوريّ بخلاف الركوع ، فإنّه من ظاهر في أعمال الظاهر التي يُشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدم دون أعمال القلب"[48] .إنّ كلام الزركشيّ السابق (وإن جاء في سياق البحث عن دلالة العدول عن صيغة(فُعّل/سُجّد) إلى صيغة(فُعُول/سُجود) ، فإنّه يعيننا على فهم دلالة إيثار الجمع (رُكّع) ابتداءً دون الجمع (رُكوع) المتاح أيضًا .يرفدنا نصّ الزركشيّ السابق بدلالةٍ مدهشةٍ لصيغة جمع الكثرة (فُعُول/سُجُود) وهي الدلالة على الحركة الظاهرة والانفعال الوجداني ، فليس السجود قاصرًا في دلالته على حركة وضع الجبهة على الأرض ، بل هو دالٌّ أيضًا على خشوع القلب ، بخلاف الركوع الذي هو مجرّد فعلٍ حركيٍّ آليٍّ تمارسه الجوارح والأعضاء دون القلب .ولم يُجمع الراكع في القرآن الكريم على (الرُّكوع) البتّة ، بل ورد في المرّات الثلاث التي ورد فيها بصيغة الجمع(الرُّكَّع) ، وبالاتّكاء على المعطيات اللغويّة السابقة ، فضلًا عن معطىً شرعيٍّ يتمثّل في الحديث النبوي الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ"[49] ، تتكشّف لنا دلالة إيثار صيغة الجمع (الرُّكَّع) في جميع السياقات القرآنيّة التي وردت فيها . إنّ فعل الرُّكوع بوصفه أحد أعمال الصلاة يخلو عند كثيرٍ من المسلمين من الخشوع القلبيّ بالقياس إلى السجود ، ويمكن تفسير ذلك من منظورٍ نفسيٍّ بما وقر في الذهنيّة المسلمة من معرفةٍ شرعيّةٍ بالاستناد إلى الحديث النبويّ السابق من أن الإنسان أقرب ما يكون من ربّه في سجوده، ومن الحقيقة الشائعة بين المسلمين من أنّ السجود من مواضع إجابة الدعاء؛ لأنّ الإنسان يبلغ فيه غاية الذُّل حين يُعفِّر أشرف ما فيه وهو وجهه بالتراب، ويُضاف إلى المعرفة الشرعيّة السابقة معرفة علميّةٌ وصحيّةٌ مفادها أن السجود على الأرض يساعد على تفريغ شحنات القلق والضغوط النفسيّة ، فيشعر الإنسان في سجوده بالطمأنينة والسكينة . إن حضور هذه المعرفة الشرعيّة والعلميّة الصحّيّة في العقليّة المسلمة ، يجعل من الركوع لدى الإنسان المسلم (دون وعيٍ منه) مجرّد محطّة عبور إلى السجود الذي يُعدّ فرصةً ذهبيّةً للإنسان المسلم ليقترب من ربّه إلى أقصى نقطةٍ للقرب، فيبثّه شكواه ويبلغه حاجته من خلال الدعاء الذي هو في هذا الموطن محقّق الإجابة ، كما

يُعدّ فرصةً صحيّةً لتفريغ الانفعالات النفسيّة الضاغطة. ومن هُنا نفهم حقيقة كون الركوع عند كثيرٍ من المسلمين فعلًا حركيًّا يكاد يخلو من الخشوع المطلوب .هذا من ناحية ومن ناحيةٍ أُخرى ، ندرك أنّ إيثار هذه الصيغة (الرُّكّع) يُعدّ مؤشِّرًا إلى كثرة ممارسة هذا الفعل الحركيّ الذي يكاد يكون مفرغًا من الخشوع عند كثيرٍ من المسلمين ، فكلّ المسلمون يركعون ، لكن كم خاشعٌ فيهم في ركوعه ؟ بخلاف السجود الذي لا يمارسه مصحوبًا بخشوع القلب إلّا قِلّةٌ من الناس عبّر عنهم السياق بصيغةٍ مفرغةٍ من دلالة كثرة الممارسة وهي صيغة (السُّجود) . ومن كلّ ما سبق تتكشّف لنا دلالة إيثار الاستعمال القرآني لصيغة جمع الكثرة (الرُّكّع) دون صيغة جمع الكثرة الأخرى المُتاحة (الرُّكوع) .

(فُعَّال)

ويكون جمعًا لثلاثة أشياء[50] :

-الأول: وصفٌ على وزن (فاعِل)، نحو: صائمٍ وصُوَّامٍ ، وقارِئ وقُرّاءٍ وعاذِلٍ وعُذَّالٍ .

-الثاني: وصفٌ على وزن (فاعِلة) وهو نادر في اللغة ، كصُدَّاد في قول القطامي من البسيط:

أبصارهن إلى الشُّبّان مائلةٌ وقد أراهُنّ عنّي غيرَ صُدّادِ[51]

-الثالث: وصفٌ على وزن (فاعِل) ، معتلّ اللام ، وهو نادرٌ في اللغة أيضًا، نحو: غازٍ وغُزَّاء، وسارٍ وسُرَّاء. وممّا جاء على هذا الوزن من ألفاظ القرآن الكريم ، مايأتي:

1- حُكّام: ورد هذا الجمع في القرآن الكريم مرةً واحدةً، في قوله تعالى: (وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة:188]. وهو جمعٌ قياسيٌّ ؛ لأنّ مفرده وصفٌ على وزن فَاعِل. والحُكَّام جمعُ حاكِمٍ، جاء في اللسان: "والحاكِم: مُنَفِّذُ الحُكْمِ ، والجمع: حُكّامٌ "[52].

ويرى فاضل السامرّائيّ أنّ وزن جمع التكثير (فُعَّال) له دلالتان، هما:[53]

1- الدلالة على كثرة القيام بالفعل لا كثرة القائمين به ، نحو: زُرّاع وحُفَّاظ وقُرّاء .

2- الدلالة على الحركة، نحو: جاؤوا طُلّاب ثأرٍ، أي: يطلبون ثأرًا .

وقد دفعت دلالة التكثير والمبالغة في القيام بالفعل التي يتضمّنها هذا الجمعُ ، بعضَهم إلى ادّعاء أنّ وزن (فُعّالًا) في المبالغة منقولٌ عن وزن هذا الجمع ، نحو : رجلٌ كُرّامٌ ، كأنّه يقوم مقام جماعةٍ في الكرم . كما دفعت بعضهم إلى ادّعاء أنّ هذا الجمع منقولٌ من اسم الآلة (فُعّال) ، كالكُلّاب والخُطّاف ، وكأنّ أصحاب هذا الجمع آلةٌ للقيام بالفعل لكثرة قيامهم به ومبالغتهم فيه[54] .وفي آية البقرة السابقة ورد على هذا الوزن الجمعُ (الحُكّام)، وإذا كانت اللغة تتيح جمعًا آخر للمفرد (حاكم) هو الجمع السالم (حاكمون)، فإنّ إيثار جمع التكسير (الحُكّام) دون الجمع السالم المتاح يصبح منبّهًا أسلوبيًّا حاثًّا على التساؤل عن دلالة هذا الإيثار .من الشائع أنّ الجمع السالم يدلّ على القِلّة بخلاف جمع التكسير الذي يدلّ على الكثرة إذا استثنينا منه صيغ جموع القلّة الأربعة المعروفة ، لكنّ التحقيق أنّ الجمع السالم "يدلّ على القِلّة في الجوامد ، وأمّا في الصفات ، فإنّ دلالته على القِلّة ليست مطّردةً ، بل نستطيع أن نقول : إنّ الأصل فيه عدم دلالته على القِلّة، وإنّما الأصل فيه أن يدُلّ على الحدث ، فجمع الصفات جمعًا سالمًا يُقرّبها من الفعليّة وتكسيرُها يبعّدها من الفعليّة إلى الاسميّة"[55] .وبالاتّكاء على المعطيات اللغويّة السابقة نستنتج : أنّ جمع الكثرة (الحُكّام) وهو جمع تكسير ، يدلّ على الأشخاص المتّصفين بكثرة ممارسة فعل الحُكم حتّى صارت صفة الحاكميّة فيهم أقرب إلى الاسميّة لملازمتهم إيّاها ، بخلاف جمع القِلّة السالم (الحاكمون) ، فهو دالٌّ على الأشخاص المتّصفين بصفة الحكم أيضًا ، لكن لا على سبيل كثرة الممارسة والمبالغة بل على سبيل التجدّد ؛ لأنّه في معنى الفعل (يحكمون) ، والفعل يفيد التجدّد والتحوّل لا الملازمة والاستمرار وكثرة الممارسة .ومن هنا ندرك الغرض من إيثار السياق القرآنيّ في آية البقرة السابقة جمع الكثرة التكسيريّ (الحُكّام) على جمع القِلّة السالم (الحاكمون) . إنّ السياق القرآني السابق يعالج قضيّة شيوع ظاهرةٍ خطيرةٍ من الظواهر الاجتماعيّة وجريمةٍ نكراء من الجرائم التي ابتُليتْ بها المجتمعات الإسلاميّة ، هي جريمة الرشوة ، خاصّةً الرشوة التي تُدفع لرجال القضاء من الحُكّام .ويأتي إيثار جمع الكثرة (الحُكّام) ليُبرز بشاعة هذه الجريمة النكراء ، حين يقع فيها الحُكّام الذين يمتهنون الحكم ويمارسونه بصورةٍ مستمرّة ؛ لأنّ هؤلاء (بطبيعة عملهم) توُكل إليهم قضايا كثيرة ، وإذا كانوا يقبلون أخذ الرُّشا للجور في الحكم وأكل أموال الناس بالباطل ، فذلك يعني أنّ المظالم ستتضاعف والمظلومون سيكثرون في المجتمع المسلم ، ومن هنا تبرز بشاعة هذه الجريمة النكراء التي يمارسها هؤلاء (الحُكّام) ، بخلاف (الحاكمين) الذين (وإن مارسوا هذه الجريمة النكراء)، فإنّها تظلّ (على بشاعتها) أقلّ بشاعةً وشيوعًا من جريمة الفريق الأوّل ؛ لقِلّة ممارسة هذا الفريق الثاني الحكمَ بين الناس.

2- فُجّار: ورد هذا الجمع في القرآن الكريم ثلاث مرّاتٍ ، منها قوله تعالى : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) [سورة (ص):28]. وهو جمعٌ قياسيٌ ؛لأن مفرده وصفٌ على وزن فاعِل . والفُجّار في المعاجم العربيّة "جمع فاجِرٍ ، وهو المُنْبَعِث في المعاصي والمحارم... ورجل فاجِرٌ من قوم فُجَّارٍ وفَجَرَةٍ ، وفَجورٌ : من قوم فُجُرٍ"[56] .وقد آثر السياق صيغة جمع الكثرة (فُجّار) دون الجمعين الآخرين : فَجَرَة وفُجُر ؛ ليُناسب الجمع (المتّقين) الذي وُضِعَ مقابلًا له ، فقد بدأ السياق بالمقارنة بين المؤمنين والمفسدين في الأرض من الكافرين ، ثمّ ترقّى في المقارنة بين المبالغين من المؤمنين في الإيمان وهم المتّقون ، والمبالغين في الفجور من الكافرين وهم الفُجّار ، قال البيضاوي : "(أم نجعل المتقين كالفجار) ، كأنه أنكر التسوية أولا بين المؤمنين والكافرين ، ثم بين المتّقين من المؤمنين والمجرمين منهم"[57] .ولمّا كان المتّقون أكمل إيمانًا وأعلى يقينًا من المؤمنين العاديّين ، فقد قابلهم بأكمل الكافرين كفرًا وأشدهم إجرامًا وهم الفُجّار ؛ لذلك فقد عبّر عن هؤلاء بصيغة (الفُجّار) الدالّة على المبالغة في الفجور والتمادي في ممارسته وملازمته ؛ ليُقابل بها دلالة المبالغة في الإيمان والورع والتقوى التي تكتنزها مادة الجمع (المتّقين) .

(فِعَال)

ويطّرد جمعًا لثمانية أنواع[58]:

- الأول والثاني: فَعْل وفَعْلَة اسمين أو وصفين، وليست فاؤهما أو عينهما ياءً، نحو: كَلْب وكَلْبَة وكِلاب، وصَعْب وصَعْبَة وصِعاب. وواو المفرد من هذين الوزنين تبدل ياءً في الجمع، نحو: ثَوْب وثِيَاب، ويندر بناء الجمع على هذا الوزن من المفرد الذي فاؤه أو عينه ياءً، نحو: ضَيْفٍ وضِيَافٍ.

-الثالث والرابع: فَعَل وفَعَلَة ، اسمين صحيحي اللام ، وليست عينهما ولامهما من جنس واحد نحو : جَمَلٍ وجِمالٍ ، ورَقَبَة ورِقابٍ . والخامس : فِعْل اسمًا ، نحو : قِدْح وقِداح ، ذِئْب وذِئابٍ .

-السادس: فُعْل اسمًا، ليست عينُه واوًا، ولا لامه ياءً ، نحو : رُمْحٍ ورِماحٍ .

-السابع والثامن : فَعِيْل وفَعِيْلَة، وصفي باب (كَرُمَ) ، صحيحي اللام ، نحو : ظَرِيْفٍ وظِرافٍ . وما كان من هاتين الصيغتين واويَّ العين ، لم يُجمع على غير هذا الوزن نحو: طَوِيْل وطَوِيْلة وطِوَال. كما يشيع هذا الجمع في كُلّ وصفٍ لمذكّر على (فَعْلان وفُعْلان ، نحو : غَضبان وغِضَابٍ ، وخُمْصان

وخِماصٍ، وفي كُلّ وصْفٍ لمؤنثٍ على (فَعْلَى وفَعْلانة)، نحو : غَضْبَى وغِضَابٍ، وخُمْصانة وخِماصٍ. ومما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ هذا الوزن، ما يأتي:

1- رِجال: وردت كلمة رجال في القرآن الكريم ثمانيَ وعشرين مرةً ، منها مرتان جمع (رَاجِلٍ ، أي : ماشٍ على رجليه في قوله تعالى:(فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) [البقرة:249]. وفي قوله تعالى : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) [الحج:27]. ووردت خمسًا وعشرين مرةً جمعَ (رَجُلٍ) ، منها قوله تعالى : (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة:228] .والرِّجال جمع (راجِل) وهو الماشي على رِجْلِه ، واشتقاقه من الرِّجْل ؛ لأنّها آلة المشي ، وهو جمعٌ سماعيٌّ يُحفظ ولا يُقاس عليه ، والقياسُ جمعُ راجِلٍ على رَجَلَة ؛ لأن المفرد صفةٌ لمذكرٍ عاقلٍ ، صحيحِ اللّام، على وزن فاعِلٍ ، وكذلك الرِّجال جمع رَجُلٍ هو جمعٌ على غير قياسٍ ، والقياسُ جمعه على أرْجالٍ جمعَ قِلَّةٍ ، ولا يُقاس على أيّ وزنٍ من أوزان جموع الكثرة .أمّا الرِّجالُ جمعُ رجلٍ ، فلا مجال لدراسة دلالة إيثار السياق إيّاه ؛ لأنّ (رجُل) لا يُجمع على جمعٍ آخر سواه ، وأمّا (رَجْلةٍ) و (رَجِلَة) ، فهُما اسما جمعٍ وليسا بجمعٍ[59] . وأمّا الرِّجال جمعُ رَاجِلٍ، فإنّ مفرده يُجمع أيضًا على (رَجَّالة) ، جاء في المعجم الوسيط : "(الراجل) : الماشي على رجليه والمشّاء بنميم وخلاف الفارس (ج) رِجَال ورَجَّالة"[60] .إنّ إيثار جمعٍ ما في سياقٍ ما لمفردٍ له أكثر من جمعٍ نعدُّه فعلًا قصديًّا يحمل غرضًا بلاغيًّا يقصد إليه منشئ الكلام ، وهنا نتساءل عن الغرض من إيثار السياق في آيتي البقرة والحجّ الجمعَ (رِجال) للمفرد (راجِل) دون الجمع الآخر (رَجَّالة) الذي يُتيحه الاستعمال اللغويُّ الفصيح .من الأغراض البلاغيّة التي تتكشّف للمتأمّل في هذا المقام ، ما يأتي:

1- تحقيق التناسب الدلاليّ بين دلالة صيغة الجمع (فِعال) ودلالة مادته (رِجال)، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ صيغة جمع الكثرة (فِعال) تكاد تختصُّ بالأمور الماديّة ، فالثِّقالُ للثُّقل الماديّ، والكِبار هم كِبار الأجسام والأعمار، والضِّعاف للمتّصفين بالضعف الماديّ[61]. ودلالة مادة الجمع (رِجال) تدلّ على فعلٍ حركيٍّ ماديٍّ؛ لأنّ المشيَ على الرِّجْلِ فعلٌ ماديٌّ، فتناسبت دلالة صيغة الجمع (رِجال) مع دلالة مادته.

2- الإشارة إلى قلّة ممارسة فعل المشي على الرجل إلى بيت الله الحرام لتأدية فريضة الحجّ؛ لأنّ الحجّ فُرض مرّةً واحدةً في العمر، ولو أنّه كان قد فُرض كلّ عامٍ أو فُرِض أكثر من مرّةٍ في العام، لكان السياق قد آثر الصيغة الأُخرى (رَجّالة) التي تحمل دلالة المبالغة في الفعل

بوساطة تضعيف الجيم وزيادة التاء، وقد مرّ بنا عند كلامنا عن صيغة (فَعَلَة) أنّ التاء التي تدخل على الصفات لغير تأنيث تفيدها الاسميّة مبالغةً، ويرى فاضل السامرّائيُّ أنّ هذه التاء قد تُزاد "على قسمٍ من الصفات فتكون للمبالغة كالراوية والعارفة"[62]

2- شِداد: ورد هذا الجمع في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ، هي : قوله تعالى : (ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ) [يوسف:48] ، وقوله تعالى : (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً)[النبأ:12] ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحريم:6] . ويُلاحظ أنّ الجمع (شِداد) جاء في آيتي سورتي يوسف والنبأ وصفًا لمؤنّث ، فهو في سورة يوسف وصفٌ لـ(سبع) ، و(سَبْع) مؤّنثٌ ؛ لأنّه عائدٌ على السنوات ، وهو في سورة النبأ وصفٌ لـ(سَبْعًا) المؤنّث لأنّه عائدٌ على السماوات . وذلك يعني أنّ (شِداد) في الآيتين جمعٌ للمفرد (شديدة) . فالشِّدادُ (إذن) جمع (شَدِيْدٍ – وشَدِيْدَةٍ) وهو على الحالين جمعٌ قياسيٌّ ؛ لأنَّ مفرده صفةٌ، صحيحةُ اللَّام على وزن (فَعِيْل وفَعِيْلَة) ، ويُجمع (شديد) أيضًا على أشدّاء، كما تُجمع شديدة أيضًا على شدائد وشديدات[63] .وبما أنّ اللغة تتيح جموعًا أخرى للمفرد (شديد وشديدة) غيرَ جمع الكثرة (شِداد) الذي آثره السياق في الآيات السابقة ، فإنّ هذا الإيثار يُصبح مقصودًا وذا مغزىً دلاليٍّ . ونقف أوّلًا مع الآيتين اللتين جاء الجمع (شِداد) فيهما للمفرد المؤنّث (شديدة). في آية يوسف جاء الجمع (شِداد) وصفًا لسنواتِ الجدبِ السبع ، فلِمَ آثر السياق هذا الجمع على الجمعين الآخرين المتاحين (شدائد وشديدات)؟ أمّا الجمع (شدائد) ، فلم يُستعمل في هذا السياق؛ لأنّه صيغة منتهى الجموع على وزن (فَعائِل)، وهذا "الوزن من جموع الأسماء، كالصحائف والقلائد والنصائح والرسائل... وما أُريد به الوصفيّة جُمِعَ على فِعال أو جُمِعَ جمعًا سالمًا، فتقول : بنات كِبار وصِغار إذا أردت الوصفيّة، فإذا أردت الاسميّة، قلت: الصغائر والكبائر، وهي اسمٌ لكبائر الذنوب أو صغائرها"[64]. فالسياق لم يستعمل الجمع (شدائد) ؛ لأنّه اسمٌ والمقام مقام وصفٍ ، كما أنّه لم يستعمل الجمع (شديدات) على الرغم من كونه يحمل وظيفة الوصفيّة ؛ لأنّ دلالة الوصفيّة التي يكتنزها هذا الجمع لا تؤدّي الدلالة التي يسعى السياق لأدائها .إنّ السنوات السبع تبدو من حيثُ العددُ قليلةً ؛ لأنّها دون العشر ، لكن السياق أراد الدلالة على أنّ هذه السنوات على قِلّتها عدديًّا تحمل شِدَّة وبلاءَ سنواتٍ طِوالٍ كثيرة العدد ، وهذا المعنى لا تؤدّيه صيغة جمع القِلّة السالم (شديدات) ؛ لذلك آثر السياق صيغة جمع الكثرة (شِداد) ؛ لتأدية هذه الوظيفة الدلاليّة المدهشة. ونلمح الغرض الدلاليّ نفسَه في إيثار السياق القرآنيّ للجمع (شِداد) في آية سورة النبأ ، فإنّ السماوات السبع على قِلّتها من الحيث العدد ، تختزل قوّة وشِدّة سماوات كثيرة

بفعل الوظيفة الوصفيّة لدالّ جمع الكثرة (شِداد) ، هذه الوظيفة الفذّة لا يمكن أن يؤدّيَها جمع الكثرة (شدائد) ؛ لافتقاره إلى وظيفة الوصفيّة أصلًا ، ولا جمع القِلّة السالم (شديدات) ؛ لافتقاره إلى الطاقة الوصفيّة الكافية لأداء الدلالة التي يسعى السياق لأدائها .أمّا في آية سورة التحريم ، فقد ورد الجمعُ (شِداد) وصفًا للملائكة ، وبما أنّ الملائكة لا يوصفون بالذكورة أو الأنوثة بحسب عقيدة أهل السُنّة والجماعة ، فلسنا بحاجةٍ إلى معرفة نوع الملائكة من حيث الذكورة والأنوثة ، والذي يُهمّنا فقط أنّ الجمع (شِداد) في وصف الملائكة مفرده في الصناعة الصرفيّة إمّا (شديد ، أو شديدة) وحاصل الجموع المتاحة لهذين المفردين فضلًا عن الجمع المستعمل (شِداد) هي : شدائد ، وشديدات ، وأشدّاء .وبما أنّ سياق آية سورة التحريم سياق تخويفٍ من نار جهنم ووصفٍ لشدّة عذابها ، فقد استبعد السياق الجمعين (شدائد ، وشديدات) ؛ لأنّ الأول اسمٌ والسياق سياق وصف ؛ ولأنّ الثاني جمع قِلّةٍ ، ودالّ القِلّة لا يسوغ استعماله في سياق وصف شِدّة العذاب وهوله .بقي لنا من الجموع المتاحة (شِداد ، وأشِدّاء) وهما على صيغتي (فِعال ، وأَفْعِلاء) ، أمّا وزن (أفْعِلاء)، فهو محوّلٌ عن (فُعَلاء) نائبٌ عنه ، جاء في (الكتاب) : "بابُ ما بُني على أَفْعِلاء وأصله فُعَلاء : وذلك : سريٌّ وأسرياء ، وأغنياء وأشقياء . وإنما صرفوها عن سُرَوَاء وغُنَيَاء ؛ لأنهم يكرهون تحريك الياء والواو وقبلهما الفتحة...فلما كانت الحركة تكره وقبلها الفتحة ، وكانت أَفْعِلاء قد يجمع بها فَعِيلٌ ، فروا إليها كما فروا إليها في التضعيف في أشداء ، كراهية التضعيف"[65] . وقال ابن هشام : " أَفْعِلاَء – بكسر ثالثه – وهو نائب عن فُعَلاَء في المضعّف كشَدِيد وعَزِيز وفي المعتل كولِّي وغَنِيَ وشذ في نحو نَصِيب وصَديق وهَيِّنٍ"[66].إذن فصيغة (أفْعِلاء) أصلها (فُعَلاء) وحوّلتْ إلى (أفْعِلاء) لعلّةٍ صوتيّةٍ صرفيّةٍ ذكرها سيبويه في نصّه السابق ، وبعد هذا التحويل بقيت الصيغة المحوّل إليها نائبةً عن الصيغة المحوّل عنها ، هذه النيابة هي نيابةٌ في الاستعمال البنائيّ الصرفيّ وفي الدلالة ، فصيغة (أفْعِلاء) تحمل دلالة (فُعَلاء) ، فما دلالة (فُعَلاء) ؟ وما الفرقُ الدلاليّ بينها وبين (فِعال) ؟ويرى أحد الباحثين أنّ "(فُعَلاء) يكاد يختصُّ بالأُمور المعنويّة ، و(فِعَالًا) بالأمور الماديّة "[67] . وهذا هو الغالب في دلالات هاتين الصيغتين في القرآن الكريم ، وإلّا فإنّ صيغة فُعَلاء (تحديدًا) قد تُستعمل في الأمور الماديّة أيضًا كما سنعرف عن تناولنا لهذه الصيغة قريبًا .ومن هنا ندرك سرّ استبعاد السياق القرآنيّ للجمع (أشدّاء/أفْعِلاء) في سورة التحريم ، فإنّ هذا الجمع محوّلٌ عن الجمع (شُدَداء/فُعَلاء) وهو نائبٌ عنه في الاستعمال وفي المحمول الدلاليّ ، فيكون الجمع (أَشِدَّاء) دالًّا على الشدّة المعنويّة لا الماديّة ، وهذه الدلالة لا تخدم هذا السياق الذي ورد فيه هذا الجمع ؛ لأنّ المقام كما أسلفنا مقام تخويفٍ

وتهويل ، والتخويف بالأمور الماديّة المشاهدة أعظم أثرًا ؛ لذلك استبعد السياق صيغة الجمع (أَشِدّاء) وآثر عليها صيغة الجمع (شِداد) . والله أعلم

(فُعُوْل)

ويطّرد جمعًا للأشياء الآتية[68] :

-الأوّل: فَعِل، اسمًا، نحو: كَبِدٍ وكُبُوْدٍ ونَمِرٍ ونُمُوْر .

-الثاني: فَعْل، اسمًا مثلثَ الفاء، نحو: كَعْب وكُعُوْب ، وجُرْح وجُرُوْح ،وضِرْس وضُرُوس.

ويجب ألّا تكون عين المفتوح أو المضموم واوًا، كحوضٍ وحوتٍ، ولا لامُ المضموم ياءً، كمُدْيٍ، وممّا شذّ من المضموم الذي لامُه ياءٌ، نُؤْيٌ ونِئِيٍّ، كما يُشترط في المضموم ألّا يكون مضعّفًا، كخُفٍّ. وقد جُمع هذا الجمعَ ممّا يُحفظ ولا يُقاس عليه، أمثلة من وزن (فَعَل) نحو: أَسَدٍ وأُسُوْد، وذَكَرٍ وذُكُوْر، وشَجَنٍ وشُجُوْنٍ . وممّا جاء من ألفاظ القرآن الكريم على هذا الوزن، ما يأتي:

1- بُيوت: جمعُ بيتٍ، وهو جمع كثرة قياسيٌّ من باب(فَعْلٍ -فُعُوْلٍ)، جاء في اللسان "وجمعُ البَيْت أَبياتٌ وأَباييتُ ، مثل أَقوالٍ وأَقاويلَ وبيُوتٌ وبُيوتاتٌ"[69]، وأبيات: جمع قِلّة، وأبابيت: جمع كَثْرةٍ على صيغة منتهى الجموع أفاعيل، أمّا بيوتات، فهي جمع الجمع من بيوت. وقد وردت لفظة بيوت في القرآن الكريم أربعًا وعشرين مرّةً، منها قوله تعالى: (يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [البقرة:189] .

ولمّا كانت اللغة تتيح لمادة بيت بدائل متعددة من الجموع كما مرَّ بنا سابقًا ، ولمّا كان المقام مقام تقنينٍ لقاعدة من قواعد التعامل الإنسانيّ وأدبٍ من الآداب الاجتماعية العامة التي ينبغي الالتزام بها، وهي ضرورة دخول البيوت من أبوابها وليس من مداخلها غير المألوفة وغير المتعارف عليها ، وحرمة العدول عن الأبواب إلى غيرها ، فإنَّ إيثار صيغة جمع الكثرة بيوت يعطي مؤشّرًا إلى عموم هذه القاعدة السلوكيّة وعموم حُرمة المخالفة ، إذْ ليست هذه الحرمة خاصةً ببعض البيوت دون بعضها ، بلْ هي قاعدةٌ عامةٌ ، فالنَّاس سواسيةٌ في الحُرْمة ، ولكُلِّ بيت حرمته .

2- جُنوْب: جمعُ جَنْبٍ و"الجنب والجنبة والجانب شق الإنسان وغيره والجمع جنوب وجوانب وجنائب الأخيرة نادرة"[70] ، و(جُنوب) جمعُ كثرةٍ قياسيٌّ من باب (فَعْل- فُعوْل) ، وأمّا جوانِب وجنائب فهما صيغتا منتهى الجموع ، فمن الأول قول عنترة[71] :

وكأن ريًّا أو كَحيْلًا مُعْقِدًا حَشَّ الوَقوْد به جوانب قُمْقُم

ولم أجدْ شاهدًا على جنائب جمعًا لجَنْبٍ من خلال بحثي في المظانّ وفي موسوعة الشعر القديم التي تحتوي على أكثر من مليون وخمسمائة بيتٍ شعريٍّ. وفي القرآن الكريم لم يرد (جوانب – وجنائب) ووردت جنوب في خمس مواضع منها قوله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران:191]. إنّ إيثار صيغة جمع الكثرة (جُنوْب) دون صيغتي منتهي الجموع (جَوانِب وجَنائِب) يحقّق جمالية التناسب الصيغيّ بين هذه الصيغة وصيغتي جمع الكثرة السابقتين قيامًا وقعودًا، وهو تناسبٌ اقتضاه خضوع الصيغ الثلاث لقانونين لغويين معتبرين هما قانون العطف وقانون الجوار .فإذا كان قانون العطف يقتضي تماثل المتعاطفين إعرابيًّا (وُجوبًا)، فإنَّه (أيْ : قانون العطف) يقتضي تماثل المتعاطفين صيغيًّا، لا على سبيل الوجوب ، ولكن على سبيل الاستحسان تحقيقًا لجمالية التناسب والتماثل الكليّ بين المتعاطفين، ومن الإشارات التراثية الدالّة على وجاهة قانون العطف وأنّ من مقتضيات الظاهر تماثلُ المتعاطفين صيغيا، قولُ الآلوسيّ في تفسيره قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) [الفتح:8] : "ولعموم الإنذار وخصوص التبشير، قيل مبشّرا ونذيرا على صيغة المبالغة دون مُنْذرًا ، مع أنّ ظاهر عطفه على مبشِّرا يقتضي ذلك[72]. فقد جعل الآلوسيّ مماثلة نذيرًا لـ (مُنْذِرًا) في الصيغة من مقتضيات قانون العطف . وقبل الآلوسي يظهر الرازيّ أكثر تحمُّسًا لبيان أهمية قانون العطف وفاعليته في تجنيس المتعاطفات صيغيًّا، إذْ يجعل هذا التجنيس حُكمًا واجبًا ، فيقول في تأويله لظاهرة عطف المضارع (لتطمئن) على المصدر (بشرى) في قوله تعالى : (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران:126] ، "قوله : (لتطمئنّ) فعلٌ، وقوله: (إلّا بشرى) اسمٌ، وعطف الفعل على الاسم مستنكرٌ، فكان الواجب أن يقال إلّا بشرى لكم واطمئنانًا، أو يقال: إلّا ليبشركم ولتطمئنّ قلوبكم به فلم ترك ذلك وعدل عنه إلى عطف الفعل على الاسم"[73]. وقد سبقت الإشارة إلى فاعلية قانون الجوار في تجنيس المتجاورين صيغيا عند دراستنا لكمة (كفرة).

3- سُجُود: جمعُ ساجدٍ، وهو جمعٌ سماعيٌّ يُحفظ ولا يُقاس عليه ، والقياس جمعه على سُجَّد ؛ لأنه وصفٌ صحيح اللام على وزن فاعِل ، وقد وردت هذه الكلمة مرتين في القرآن الكريم في سورة البقرة وفي سورة الحج يقول تعالى في سورة البقرة : (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [البقرة : 125].

وإذا كانت كلمة (ساجِد) تُجمع على (سُجود وسُجَّد) ، وهي من أوزان جموع الكثرة ، وعلى (ساجدون) وهو جمعٌ صحيح دالٌّ على القلّة، فلنا أن نتساءل عن دلالة إيثار صيغة الكثرة (سُجود) على صيغة القلة (ساجدون)، ثم عن دلالة إيثار صيغة الكثرة هذه على صيغة الكثرة الأخرى المتاحة (سُجَّداً) التي تحقق جمالية الاتّساق الصيغيّ مع الصيغة السابقة (رُكّعًا)؛ لعلاقة الجوار القائمة بينهما. إنّ إيثار صيغة جمع الكثرة دون الصيغة الدالّة على القِلَّة يتناسب مع كثرة الساجدين عند البيت الحرام إذ لا شك ولا ريب أن عدد هؤلاء الساجدين يزيد على العَشَرة أضعافًا مضاعفةً ، ولا يمكن أن يكون هذا العدد عشرةً أو أقلَّ منها. أمّا إيثار صيغة جمع الكَثْرة (سُجود) على صيغة الكَثْرة الأُخرى (سُجَّد) ، فله ما يبرّره أسلوبياً أيضًا، ففضلاً عن كونه جاء على وزن المصدر لإرادة المعنى الحقيقيّ ، فأنّه يحمل قيمةً دلاليةً مدهشةً إضافيةً يكشف عنها ابن القيم بقوله: "فإن قيل: فلم قال: (السُّجود) على وزن (فُعوْل) ولم يقُلْ (السُّجَّد) كالرُّكَّع وفي آية أخرى (رُكَّعًا سُجَّدًا)، فالجواب: السُّجودُ في الأصل مصدرٌ كالخُشوع والخُضوع، وهو يتناول السُّجود الظاهر والباطن ولو قال (السُّجَّد) في جمع ساجِد لم يتناول إلا المعنى الظاهر"[74]. ويؤكّد الزركشيّ قول ابن القيّم السابق، بقوله إنّ: "السُّجود يطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع فلو قال (السُّجَّد) لم يتناول إلا المعنى الظاهر"[75]. فكلمة (السُّجود) تدلُّ على سُجود الأعضاء وسجود الروح والقلب (إن صحّ التعبير)، أي : إنّها تدلُّ على خضوع الجوارح والخضوع النفسيّ الروحيّ؛ لذلك آثرها السياق القرآنيّ على كلمة (السُّجَّد) التي تحيل على دلالة السُّجود الظاهريّ فقط ، أي : سجود الأعضاء. وقد لاحظ الدكتور فاضل السامرائي ورود كلمة (السُّجَّد) في القرآن الكريم إحدى عشر مرة كلها للدلالة على الحركة الظاهرة[76].

(فِعْلَان)

ويطّرد جمعاً لثلاثة أنواع[77] :

- الأول: (فُعال) اسماً، نحو: غُراب وغِرْبان، غُلام وغِلْمان.

– الثاني: (فُعَل)، نحو: صُرَد[78]ة وصِرْدان، ويُستغنى – في هذا الباب – بهذا الجمع عن (أَفْعال).

– الثالث: فُعْل وفَعْل واويّ العين الساكنة ، نحو : حُوْت وحِيْتان ، وكُوْز وكِيْزان ، وتَاج وتِيْجان ، ونَار ونِيْران، ومن نادر هذا الجمع: غَزَال وغِزْلان ، خَرُوف وخِرْفان ، نِسْوَة ونِسْوَان . وقد ورد من ألفاظ هذا الوزن في القران الكريم ما يأتي:

1– إِخْوَان: ورد هذا الجمع في القران الكريم عشرين مرة ، منها قوله تعالى :(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة :220] .جاء في اللسان "الأخ من النسب معروف وقد يكون الصديق والصاحب...،الجوهري الأخ أصله أَخَوٌ بالتحريك لأنه جمع على آخاء ، مثل آباء...ويُجمع أيضًا على إِخْوان ، مثل خَرَبٌ وخِرْبان وعلى إِخْوَة وأُخْوَة"[79] .

فالإِخْوَان : جمعُ أخٍ ، ويُجمع الأخُ أيضًا على : آخَاء ، وإِخْوَة ، وأُخُوَة ، فأمّا (آخاء ، وإِخْوَة) ، فهما جمعا قلّة ، وأمّا (أُخْوَة) ، فهو اسمُ جمعٍ ، وأما (إِخْوَان) فهو جمع كثرة على غير قياس ؛ إذ لا يُجمع (فَعَلٌ) على (فِعْلان) . وقد آثر السياق جمع الكثرة دون الجموع الأخرى المُتاحة ؛ لتحقيق أغراضٍ معيّنةٍ، منها :

1– الدلالة على كثرة اليتامى الذين نزل في حقّهم هذا التشريع الإلهيّ ، فهذا التشريع ليس خاصًّا بيتامى محددين، بل هو عامٌّ في كُلّ اليتامى، وهؤلاء لا شك كثرةٌ كاثرةٌ تتجاوز العشرة .

2– الدلالة على أنّ الأخوة التي وَصفَ بها سياق هذه الآية اليتامى ليست أخوّة النَّسَب ، بل هي بمعنى الصداقة والصُّحبة ، وهذه الدلالة لا يُؤدّيها إلا الجمع (إخوان)، خلافًا للجمع الآخر (إِخْوَة) الذي يشير إلى أُخُوّة النسب، قال الفخر الرازيّ: "قال بعض أهل اللغة: (الإِخْوَة): جمعُ الأخ من النَّسَب، والإخوَان: جمعُ الأخ من الصداقة"[80]. وقد ذكر فاضل السامرّائيّ أنّ الجمع (إخوة) ورد في القرآن الكريم كلّه بمعنى أخوة النسب إلا في موضع واحدٍ، هو قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات :10]، ويمكن أنّ يُخرّج على تشبيههم بالإخوة من النسب، كما ذكر أنّ الجمع (إخوان) ورد في القرآن الكريم بمعنى أخوّة النسب وبمعنى الصداقة في اثنين وعشرين موضعًا، وأنّ ما ورد منه بمعنى أخوّة النسب إنّما كان الخِطاب فيه لعموم المسلمين

فاقتضى ذلك استعمال جمع الكثرة (إخْوَان) عوضًا عن جمع القلّة (إخْوَة) الذي يدلّ على أُخُوّة النَّسَب[81] .

2-غِلْمان: ورد هذا الجمع مرةً واحدةً في القران الكريم ، في قوله تعالى : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) [الطور:24] . قال الفيروز آبادي :"والغُلامُ : الطارُّ الشارِبِ والكَهْلُ ضِدٌّ أو من حينِ يولَدُ إلى أن يَشِبَّ ج : أغْلِمَةٌ وغِلْمَةٌ وغِلْمانٌ وهي غُلامَةٌ والاسْمُ : الغُلومَةُ و الغُلومِيَّةُ والغُلامِيَّةُ"[82].فالغلام يجمع على (غِلْمان) كما في آية الطور، وعلى (أغْلِمَة)، وعلى (غِلْمَة). فأمّا (غِلْمان)، فهو جمع كثرةٍ قياسيٌّ؛ لأنّ مفرده اسمٌ على وزن (فُعَال). وأمّا (أَغْلِمَة)، فهو جمعُ قِلَّةٍ، وهو أيضًا جمعٌ قياسيٌّ؛ لأنَّ مفرده اسمٌ، رباعيٌّ، مذكرٌ، قبل آخره حرف مَدٍّ[83]. وأمّا (غِلْمَة)، فهو جمعُ قِلَّةٍ سماعيٌّ يُحفظ ولا يُقاس عليه. إنّ إيثار جمع الكَثْرة (غِلْمان) دون جمعي القِلّة الآخرَيْن يُقصد منه الدلالة على كثرة الغِلْمان الذين يقومون بخدمة المؤمنين في الجنة، ولا شكّ أنهم كُثرٌ يتجاوزون العشرة .

(فُعْلَان)

ويطَّردْ هذا الوزن جمعاً للأنواع الآتية[84] :

- الأول: الاسم الذي على وزن (فَعيْل)، نحو: قَضيْب وقُضْبان، ورَغيْف ورُغْفان، وكَثيْب وكُثْبان.

- الثاني: الاسم الذي على وزن (فَعَل)، صحيح العين، نحو : ذَكَر وذُكْران، وحَمَل وحُمْلان.

- الثالث: الاسم الذي وزن (فَعْل) ، صحيح العين، نحو : ظَهْر وظُهْران، بَطْن وبُطْنان. وممّا جاء على هذا الوزن مخالفًا للقياس: راكِب ورُكْبان، وأَسْوَد وسُوْدان، وممّا ورد من ألفاظ هذا الوزن في القران الكريم، ما يأتي:

1- رُهْبَان: ورد هذا الجمع في القران الكريم ثلاث مرات ، منها قوله تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) [المائدة:82] . قال الفيّومي: "رَهِبَ رَهَبًا، من باب تعب خاف والاسم (الرَّهْبَةُ) فهو (رَاهِبٌ) من الله والله (مَرْهُوبٌ) والأصل مرهوب عقابه و(الرَّاهِبُ) عابد النصارى من ذلك والجمع (رُهْبَانٌ) وربما قيل (رَهَابِينُ)"[85]. فالراهب يُجمع على: رُهبَان ، ورَهَابين. فأمَّا الرُّهْبان، فهو جمعٌ

سماعيٌّ يُحفظ ولا يقاس عليه. وأمّا الرَّهابين، فهو صيغة منتهى الجموع. والأصل في هذا الجمع أن يكون جمعًا للأسماء لا الصِّفات ، وقد تُجمع الصّفة عليه إذا أُريد نقلُها إلى الاسميّة أو تقريبُها منها ، يقول فاضل السامرّائيّ : " فقد تبيّن أنّ هذا من أبنية جموع الأسماء لا الصِّفات ، وأنّ ما جُمِع من الصفات هذا الجمع فلقُربه من الاسميّة أو لإرادة الاسميّة"[86] .

(فُعَلَاء)

يطّرد هذا الجمع في الأشياء الآتية[87] :

1- وصف المذكّر العاقل الذي على وزن (فَعيْل) بمعنى (فاعِل) ، غير مضعَّفٍ ولا مُعْتَلِّ اللّام ، ولا واويَّ العين، نحو: كَرِيْمٍ وكُرَماء، وظَرِيْفٍ وظُرَفَاء، وشذَّ نحو: أَسِيْر وَأُسَراء، وقَتِيْل وقُتَلاء؛ لأنّهما بمعنى مَفْعوْل. أو كان هذا الوصف على (مُفْعِل)، نحو: سَمِيْع وسُمَعَاء، وأَلِيْم وأُلَماء، أو كان بمعنى (مُفاعِل)، نحو: خَلِيْط وخُلَطاء، وجَلِيْس وجُلَساء .

2- وصف المذكّر العاقل الذي على وزن (فاعِل) دالًّا على معنى الغريزة، نحو: صالِح وصُلَحاء، وشذَّ نحو: جَبان وجُبَناء، وسَمْح وسُمَحاء؛ لأنّها ليست على فَعيْل ولا فاعِل. وممّا ورد في القرآن الكريم من ألفاظ هذا الوزن، ما يأتي :

1- ضُعَفاء: قال الراغب: "الضَّعف : خلاف القُوّة، وقد ضعُف فهو ضعيفٌ...والضَّعْفُ قد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال..."[88]، وجاء في اللسان: "وقد ضَعُفَ يضْعُفُ ضَعْفًا وضُعْفًا وضَعَفَ، (الفتح) عن اللِّحياني، فهو ضعيفٌ، والجمعُ ضُعَفاء وضَعْفى وضِعافٌ وضَعَفَة وضَعافى"[89]. فالضَّعيْف، يُجمع على: ضُعَفاء، وهو جمعُ كثرةٍ قياسيٌّ من باب (فَعيْل . فُعَلاء)، كما يُجمع على ضَعْفى، وهو جمعُ كثرةٍ قياسيٌّ؛ لأنّ مفرده صفةٌ، على وزن (فَعيْل)، دالَّةٌ على بليّةٍ وآفةٍ، ويُجمع كذلك على (ضِعافٍ)، وهو جمع كثرةٍ، وهو جمعٌ قياسيٌّ؛ لأن مفرده صفةٌ، صحيحة اللام، على وزن (فَعيْل). ويُجمع كذلك على (ضَعَفَةٍ)، وهو جمع كثرةٍ على غير قياس، ويُجمع أخيرًا على (ضَعافى)، وهو صيغة منتهى الجموع وقد ورد الجمع (ضُعَفاء) في القرآن الكريم أربع مرّاتٍ، منها قولى تعالى: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) [البقرة: 266]. وقد حاول الدكتور فاضل السامرّائي أن يفرّق بين صيغتي (فُعَلاء – وفِعَال) فقال: "الذي يبدو لي أن (فُعَلَاء) يكاد يختص بالأمور المعنوية. و(فِعَالَا) بالأمور المادية"[90] وقد أشار إلى أن كلمة (ضِعَافًا) حيث وردت في القرآن الكريم كانت

للضعف المعنوي ، كما في آية البقرة السابقة ، فالضَّعْف المقصود فيها هو الضَّعف المعنويّ وليس الضَّعف الماديّ؛ بدليل أنّ الذرية الضُّعَفَاء لديهم جنَّةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ، فهم أقوياء ماديًّا، وضعفهم إنّما هو ضعفٌ معنويٌّ((91). وكذلك الحال في بقية المواضع التي وردت فيها كلمة (ضُعَفَاء)، بلْ وغيرها من الجموع التي على وزن (فُعَلَاء). وأشار كذلك إلى أن كُلّ ما ورد في القران الكريم من جموعٍ على وزن (فِعالٍ)، يراد بها الأمور الماديّة، كما في كلمة (ثِقال) في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) [الرعد:12]. وقد أورد الدكتور السامرائي كثيراً من هذه الأمثلة من القران الكريم تؤيد ما ذهب إليه(92). وقد كان السامرّائيّ حذِرًا وموفّقًا في اختياره كلمة (يكاد) في نصّه السابق، فقد شكّلت هذه الكلمة قيدًا احترازيًّ مانعًا من تعميم الحكم الذي أطلقه، غير أنّ نصّه السابق كان يحتاج (في تقديري) إلى قيدٍ آخر، هو حصر هذا الحكم في الاستعمال القرآنيّ لصيغتي (فُعَلاء – وفِعال)؛ لأنّه بنى حكمه السابق على شواهد من القرآن الكريم وشاهدٍ شعريٍّ واحدٍ وبضع كلماتٍ سردها من استقرائه .ولأن النص القرآني محصورٌ، فإن إصدار مثل هذه الأحكام يكون مقبولًا؛ لإمكانيّة حصر الشواهد واستقرائها، أمّا تعميم الحكم على حقل اللغة الواسع، فيحتاج إلى استقراءٍ واسعٍ ينهض به فريق عملٍ من المتخصصين؛ حتّى يُصبح الحكم دقيقًا وقابلًا للتعميم.

2- فُقَراء: ورد هذا الجمع سبعَ مرّاتٍ في القران الكريم ، منها قوله تعالى : (إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [البقرة :271] ، وهو جمعٌ قياسيٌّ؛ لأنّه من باب (فَعيْل – فُعَلَاء). جاء في اللسان: "ورجل فقير المال، وقد فقر فهو فقير، والجمع فقراء والأنثى فقيرة"(93)، فالفقراء جمع فقير، وهو جمعٌ قياسيٌّ من باب (فَعيْل – فُعَلَاء) .وتمثّل الآية الكريمة السابقة ونصّ اللسان السابق شاهدين إضافيين إلى جملة الشواهد التي تؤكّد إمكانيّة دلالة صيغة الجمع (فُعَلاء) على الأوصاف الماديّة، فها هو ابن منظورٍ يؤكّد أنّ (فُقَراء/فُعَلَاء) هي جمعٌ للرجل (فقير المال)، وهو فقرٌ ماديٌّ كما نرى، وهو ذات الوصف الذي نجده في آية البقرة السابقة؛ بدلالة الصدقات، فالصدقات ماديةٌ تعطى لأصحاب الفقر الماديّ الذين لا يجدون طعامًا وكساءً. والدلالة الماديّة لـ(فُقَرَاء) واضحةٌ في مواضع أخرى من القران الكريم التي وردت فيها كلمة (فُقَرَاء)، كما في قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [البقرة:273]، وفي قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ

لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[التوبة:60]، وفي قوله تعالى: (وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [النور:32].

3- قُرَناء : ورد هذا الجمع مرةً واحدةً في القران الكريم ، في قوله تعالى : (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) [فصلت:25] .والقرين هو "صاحبك الذي يقارنك ، وقرينك الذي يقارنك والجمعُ قُرَنَاء وقُرانى"[94] ، فالقُرَناء جمع (قَرِيْن) ، وُيجمع القرينُ أيضًا على (قُرانى) . والقُرَناء : هو جمعُ كثرةٍ قياسيٌّ من باب (فَعِيْل – فُعَلَاء) ، أمّا (فُعالى) ، فهو صيغة منتهى الجموع . وتمثِّل الآية شاهدًا إضافيًّا على إمكانيّة دلالة صيغة (فُعَلاء/قُرَناء) على الوصف الماديّ ، ولا أدري كيف يمكننا أن نفهم دلالة الاقتران المعنويّ في هذه الآية بين الإنسان وقرينه من الشياطين !

(أَفْعِلَاء)

ويطّرد جمعًا لـ (فَعِيْل)، معتل اللّام أو مضعّفًا، نحو : غنيٌّ وأَغْنِياء، ونَبِيٌّ وأَنْبِياء، شَديْد وأَشِدّاء، وعَزِيْز وأَعِزَّاء[95]، وممَّا شَذّ عن هذه القاعدة: نَصيْب وأَنْصِباء، وصَديْق وأَصْدِقاء، وهَيِّن وأَهْوِناء؛ لأنَّها ليست معتلّة اللّام ولا مضعّفة. وممّا جاء من ألفاظ هذا الوزن في القرآن الكريم ما يأتي:

أَدْعِيَاء: ورد هذا الجمع مرةً واحدةً في القران الكريم، في قوله تعالى: (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) [الأحزاب:4]. والأدعياء: جمع دَعِيٍّ، وهو فَعيْل بمعني مَفْعول، جاء في الكشاف: "فإن قلت: الدّعِيُّ فَعيْل بمعني مَفْعول، وهو الذي يُدْعى ولداً، فما له جُمع على أَفْعِلَاء، وبابُه: ما كان منه بمعني فاعِل، كتَقِيٍّ وأَتْقِياء. وشَقِيٍّ وأَشْقِيَاء، ولا يكون ذلك في نحو: رمى وسمى. قلت: إنّ شذوذه عن القياس كشذوذ قُتَلَاء وأُسَرَاء"[96] .وهو جمعُ كثرةٍ على غيرِ قياسٍ؛ لأنَّ فَعيْلًا ههنا بمعنى مَفْعُولٍ، وليس بمعنى فاعِلٍ. و(دَعِيٌّ) هو في الأصل (دَعِيْوٌ) ثم قُلِبت الواو ياءً ؛ لاجتماعها مع الياءِ وسبْق إِحْداهُما بالسكون ، ثُمّ أُدغمتْ الياءُ في الياء .وقد نقلنا عند حديثنا عن الجمع (شِداد)

تصريحَ العُلماء المحقّقين أمثال سيبويه وابن هشام أنّ الجمع (أَفْعِلاء) محوّلٌ عن الجمع (فُعَلاء) نائبٌ عنه، واستنتجنا أنّ هذه النيابة حاصلةٌ في الاستعمال والدلالة.

(نتائج البحث)

من النتائج التي توصّل إليها الباحث في رحلته الاستقرائيّة هذه لجموع الكثرة في القرآن الكريم، ما يأتي:

1- استعمل القرآن الكريم من أوزان جموع الكثرة الست عشرة المدروسة ثلاثةً وستين ومائة جمعٍ (163)، خاليةً من التكرار، وبلغ عدد هذه الجموع مع مكرّراتها سبع عشرة ومائةً وألفَ جمعٍ (1117).

2- بلغ عدد جموع الكثرة القياسيّة في القرآن الكريم ممّا جاء على الأوزان الستّ عشرة المذكورة، ستةً وعشرين ومائةَ جمعٍ (126)، بنسبة 77.30% تقريبًا، وبلغ عدد جموع الكثرة السماعيّة منها سبعةً وثلاثين جمعًا (37)، بنسبة 19% تقريبًا.

3- غابت صيغة (فُعَلَة) عن الحضور في بنية النصّ اللغويّ القرآنيّ، بينما سجّلتْ صيغة (فِعَلَة) حضورًا واحدًا (قِرَدَة).

4- بعيدًا عن التكلُّف والتعقيد، تؤكّد النِسَبُ السابقة أنّ القرآن الكريم نصٌّ لغويٌّ يمثِّل اللغة العربيّة خير تمثيلٍ، يشيع فيه من الظواهر اللغويّة ما يشيع فيها، ويقِلُّ فيه من هذه الظواهر ما يقِلّ فيها.

5- قياسًا على ما قرّره علماءُ اللغة المحقّقون من أنّ التاء في آخر الصفة إذا لم تكنْ للتأنيث فهي لنقل الكلمة من الوصفيّة إلى الاسميّة، استنتجت الدراسة أنّ هذه التاء في نهاية جمع الكثرة (قِرَدَة) في الموضع الوحيد الذي استُعمِلَتْ فيه في القرآن الكريم جاءت لتعزيز دلالة الاسميّة بما يخدم دلالة السياق الذي وردت فيه، خلافًا للجمع (قُرُوْد) الذي (وإن كان اسمًا) قد يحتمل دلالة الوصفيّة في سياق التشبيه على ما هو موضّحٌ في موضعه من البحث.

6- كثيرًا ما يعدل السياق القرآنيّ عن صيغة جمع الكثرة القياسيّة إلى صيغة جمع الكثرة غير القياسيّة؛ مراعاةً للمعنى.

الحواشي

(1) النحو الوافي : عباس حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، 1976م : 203/4 .

(2) الكتاب : سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون .... : باب جمع الجمع : 619/3 .

(3) يُنظر في هذه الأسباب : معاني الأبنية في العربيّة : فاضل السامرّائيّ ، دار عمّار ، عمّان ، الأردن، ط1، 1426هـ – 2005م : 114–118 .

(4) فقه اللغة المقارن : لإبراهيم السامرّائيُّ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1978 ، ص/95.

(5) فقه اللغة المقارن: 95.

(6) ينظر في هذا الموضوع " معاني الأبنية في اللغة العربية " : 114–125 .

(7) شذى العرف في فنّ الصرف : أحمد الحملاوي ، تحقيق : محمود شاكر ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1425هـ– 2005م : 79– 82 .

(8) يُنظر في هذه الدلالات : لسان العرب : ابن منظور ، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمّد الصادق العبيدّي ، دار إحياء التراث العربيّ ، مؤسسة التاريخ العربيّ ، بيروت ، لبنان ، ط3 : لدد ، والجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله شمس الدين القرطبيّ ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربيّة السعوديّة ، 1423هـ–2003م : 162/11 .

(9) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط4، 1426هـ – 2005م : 453 .

(10) شذا العرف في فن الصرف : 79 .

(11) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل : لجار الله الزمخشري ، تحقيق : محمّد السعيد محمّد ، المكتبة التوفيقيّة ، القاهرة ، مصر ، بدون طبعة وبدون تاريخ ، 674/2 .

(12) تاج العروس من جواهر القاموس : للمرتضى الزبيديّ ، تحقيق:علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،1994م ، شهب .

(13) لسان العرب : نذر .

(14) معاني الأبنية في العربية :144.

(15) شرح الرضي الشافية : للرضي الاستراباذي ، تحقيق :محمد محيي الدين وآخرين ، مطبعة حجازي ، القاهرة مصر ، بدون طبعة وبدون تاريخ ، 157،158/2.

(16) شذا العرف : 79 ، 80 .

(17) لسان العرب : أمم .

(18) تاج العروس : قرى .

(19) يُنظر : جامع الدروس العربيّة : مصطفى الغلاييني ، المكتبة العصريّة ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ط13، 1393هـ–1973م :2/ 34 ، 35 .

(20) المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وأحمد الزيّات وحامد عبد القادر ومحمد النّجار ، دار الدعوة ، القاهرة ، مصر : نعم .

(21) جامع الدروس العربيّة : 29/2 .

(22) المصدر السابق : 35 .

(23) معاني الأبنية في العربيّة : فاضل صالح السامرّائيّ ، دار عمّار ، عمّان ، الأردن ، ط1 ، 1426هـ – 2005م : 132.

(24) لسان العرب : حفد .

(25) القاموس المحيط : سحر .

(26) لسان العرب : سحر .

(27) معاني الأبنية : 132 .

(28) معاني الأبنية : 106 .

(29) المصدر السابق : 108 .

(30) الكشاف :429/3 .

(31) مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط1 1421هـ – 2000م : 61/29 .

(32) الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بـ(سيبويه) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، بدون سنة طبع : 647/3 ، 648 .

(33) لسان العرب : كفر.

(34) التبيان في إعراب القرآن : لأبي البقاء العكبري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مكتبة إحياء الكتب العربيّة ، 209/1 .

(35) ديوان الخنساء : دار صادر ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعة وبدون تاريخ : 49.

(36) شذى العرف في فن الصرف : 80 .
(37) اللسان : أسر .
(38) المرجع السابق بمادته .
(39) ينُظر في هذه الدلالات : معاني الأبنية في العربيّة : 115،116 .
(40) شذا العرف : 80 .
(41) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية، بيروت ، لبنان : 496/2 .
(42) الجامع لأحكام القرآن : 443/1 .
(43) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : محمد بن محمد العمادي المعروف بأبي السعود ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، لبنان : 110/1.
(44) تفسير القرآن العظيم : ابو الفداء ابن كثير ، تحقيق : سامي محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط2 ،1420هـ-1999م : 65/1.
(45) شذا العرف : 80 .
(46) لسان العرب : خنس .
(47) معاني الأبنية في العربيّة : 133 .
(48) المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن عليٌّ بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، 2000 : ركع .
(49) معاني الأبنية في العربيّة : 134 .
(50)البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشيّ ، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط1 ، 1376هـ- 1957م : 251/3 .
(51) الجامع الصحيح: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، باب ما يُقال في الركوع والسجود: 49/2 .
(52) شذا العرف : 80 ، 81 .
(53) الشعر والشعراء: لابن قتيبة الدينوري، تحقيق مفيد قميحة ومحمّد أمين الصناوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1321هـ- 2000م، 434
(54) لسان العرب : حكم .
(55) يُنظر : معاني الأبنية في العربيّة : 130- 132 .
(56) يُنظر : المصدر السابق : 131-132.
(57) المصدر السابق : 126 .
(58) لسان العرب : فجر .
(59) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين البيضاوي ، تحقيق : عبد القادر عرفان العشّا حسّونة ، دار الفكر ، بيروت ، 1416هـ-1996م :
(60) شذا العرف : 81 .
(61) لسان العرب : رجل .
(62) المعجم الوسيط : رجل .
(63) معاني الأبنية في العربيّة : 146 .
(64) المصدر السابق : 104 .
(65) يُنظر : لسان العرب : شدد ، والمعجم الوسيط : شدد .
(66) معاني الأبنية في العربيّة : 149 .
(67) كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ،تحقيق : عبد السلام محمّد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ط1 : 392/4 .
(68) أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك : ابن هشام الأنصاريّ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1979م : 320/4 .
(69) معاني الأبنية في العربيّة : 146 .
(70) شذى العرف : 81 ، 82 .
(71) لسان العرب : بيت .
(72) المحكم والمحيط الأعظم : جنب .
(73) ديوان عنترة : دار صادر ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعة وبدون تاريخ : 22 .
(74) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط4، 1305هـ - 1985م ، 11 /223.
(75) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421هـ- 2000 م ، ط1 : 188/8 .

(76) بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزيّة ، تحقيق سيّد عمران وعامر صلاح ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2002م ، 56،66/1 .
(77) البرهان : للزركشيّ ، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيّة ، ط1 ، 1376هـ – 1957م ، 250،251/3.
(78) معاني الأبنية في العربيّة :134.
(79) شذا العرف : 82 .
(80) طائر ، يُنظر : تاج اللغة وصحاح العربيّة : صرد .
(81) لسان العرب : أخا .
(82) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : 111/28 .
(83) معاني الأبنية في العربيّة : 120،121 .
(84) القاموس المحيط : غلم .
(85) جامع الدروس العربيّة : مصطفى الغلاييني ، المكتبة العصريّة ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ط13 ، 1393هـ– 1973م : 31 .
(86) جامع الدروس العربيّة : 42 ، 43 .
(87) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : رهب .
(88) معاني الأبنية في العربيّة : 138 .
(89) شذى العرف : 82 .
(90) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهانيّ ، تحقيق : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط4 ، 1426هـ–2005م : 299.
(91) لسان العرب : ضعف .
(92) معاني الأبنية في العربيّة :146 .
(93) السابق :147.
(94) المصدر السابق :144 –148 .
(95) اللسان : فقر .
(96) لسان العرب : قرن .
(97) جامع الدروس العربيّة : 45/2 .
(98) الكشاف : 586/3 .

(المصادر والمراجع)

1– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: محمد بن محمد العمادي المعروف بأبي السعود، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.
2– أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفان العشّا حسّونة، دار الفكر، بيروت، 1416هـ–1996م .
3– أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك : ابن هشام الأنصاريّ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1979م.
4– بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزيّة ، تحقيق سيّد عمران وعامر صلاح ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2002م .
5– البرهان في علوم القرآن: الزركشيّ، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط1، 1376هـ – 1957م.
6– تاج العروس من جواهر القاموس : المرتضى الزبيديّ ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ،1994م .
7– تاج اللغة وصحاح العربيّة : الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار ، القاهرة ، مصر .
8– التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة إحياء الكتب العربيّة، بدون تاريخ.
9– تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1420،2هـ– 1999م.
10–تهذيب اللغة: الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1396هـ– 1976م

11- جامع الدروس العربيّة: مصطفى الغلاييني، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان، ط13، 1393هـ-1973م .
12- الجامع الصحيح : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دار الجيل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان .
13- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربيّة السعوديّة ، 1423هـ-2003م .
14- ديوان الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون طبعة وبدون تاريخ .
15- ديوان عنترة : دار صادر ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
16- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للآلوسيّ ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت، لبنان، ط4، 1305هـ - 1985م .
17- شذا العرف في فن الصرف : أحمد الحملاوي ، ضبط وتصحيح : محمود شاكر ، مؤسسة التاريخ العربيّ ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1425هـ-2005م .
18- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418هـ - 1997م.
19- شرح الشافية : الرضيّ الاستراباذي ، تحقيق :محمد محيي الدين وآخرين ، مطبعة حجازي ، القاهرة مصر ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
20- شرح الكافية : الرضي الاستراباذي ، طبعة الأستانة ، 1310هـ .
21- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق مفيد قميحة ومحمّد أمين الصناوي ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1321هـ - 2000م .
22- فقه اللغة المقارن : إبراهيم السامرّائيُّ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1978 ، ص/95.
23- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بـ (سيبويه) ، ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، ط1 ، بدون تاريخ .
24- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل : جار الله الزمخشري ، تحقيق : محمّد السعيد محمّد، المكتبة التوفيقيّة ، القاهرة ، مصر ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
25- لسان العرب : ابن منظور ، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمّد الصادق العبيدّي ، دار إحياء التراث العربيّ، مؤسسة التاريخ العربيّ ، بيروت ، لبنان ، ط3 .
26- المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن عليٌّ بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ، 2000 .
27-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
28- معاني الأبنية في العربيّة : فاضل صالح السامرّائيّ ، دار عمّار ، عمّان ، الأردن، ط1 ، 1426هـ - 2005م .
29- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيّات وحامد عبد القادر ومحمد النّجار، دار الدعوة ، القاهرة، مصر .
30- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان، ط1 1421هـ - 2000م .
31- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهانيّ ، تحقيق : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ط4، 1426هـ-2005م : 299 .
32- النحو الوافي : عباس حسن ، ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، 1976م .